التحولات إلى مذهب أهل السنة والجماعة
الدوافع والآثار
الباحثة/ نجلاء بنت عبد الرحمن بن فالح القحطاني

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه أما بعد:

إن من سنن في هذا الكون الصراع بين الحق والباطل، رغم أن الحق واضح وضوح الشمس في رابعة النهار له علامات ودلائل شرعية، فما وافق شرع الله ودينه فهو الحق، وما خالفه ونابذه وعانده فهو الباطل، إلا أن أهل الباطل يحاولون إلباس باطلهم ثوب الحق، وإلباس الحق بعض لبوس ومظاهر الباطل قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} آل عمران /٧١، ولهذا أرسل الله الرسل مبينين وداعين إلى الحق، والمقلب في التاريخ يجد كيف الأنبياء وأتباعهم دافعوا الباطل بالحق حتى أخرجوا الناس من الظلمات إلى النور فعلى سبيل المثال: هذه ملكة سبأ اتبعت سليمان عليه السلام، وها هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان حبراً من أحبار اليهود يتبع الرسول ﷺ.

فحين يحضر الحق عند من له قلب لا زيغ فيه وعقل سليم تجده ينصاع له، ولهذا كان التحول إلى الحق في التاريخ كثير، وقد خصصت بحثي هذا في دراسة التحول إلى مذهب أهل السنة في التاريخ الإسلامي.

ومن هنا استمددت دراستي هذه وهي: (التحولات إلى مذهب أهل السنة والجماعة الدوافع والآثار) التي تبحث تحولات بعض العلماء من مذاهب البدعة إلى طريقة أهل السنة والجماعة. وقد اخترت كلا من الأشعري والحويني والغزالي والرازي نماذج لهذا التحول.

- **مشكلة البحث:**

من سنن الله التي سنها في هذا الكون: الصراع بين الحق والباطل، إلى قيام الساعة، ولكلٍ رؤوس وأتباع؛ وكان مما سلف من هذه الأمة رموز برزت في البدعة ثم أراد الله لهم الهداية فأصبحوا أعلاماً للسنة.

فجاء هذا البحث يتعرض لتلك التحولات العقدية، ودوافعها، وأثرها.

- **حدود البحث**

دراسة لأبرز التحولات العقدية من المذاهب المنحرفة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، من القرن الثالث وحتى القرن السادس في تاريخ الأمة الإسلامية.

- **مصطلحات البحث**

التحول: أي الانتقال من حال إلى حال. [١]

مذهب: الطريقة والمعتقد الذي يُذهب إليه. [٢]

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره**

١. الكشف عن القدرة الإقناعية لأدلة أهل السنة والجماعة.
٢. بيان أن تصحيح الأفكار ليس عيبا، بل العيب هو أن نستمر على الخطأ ونستكبر على الحق.
٣. تحديد المكون الفكري للمتحولين قبل التحول وبعده.

- **أهداف البحث**

١. بيان أسباب التحول إلى مذهب أهل السنة.
٢. مناقشة الأفكار التي تحولوا عنها.
٣. الوقوف على أثار هذا التحول.

- **أسئلة البحث**

١. ما الأسباب التي دفعت إلى التحول لمذهب أهل السنة؟
٢. ما الأفكار التي تحولوا عنها؟
٣. ما الآثار التي نتجت عن هذا التحول؟

---

(١) "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية، ص: ٢٠٩.

(٢) "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية، ص: ٣١٧.

- **منهج البحث**

أعتمد بإذن الله خلال هذه الدراسة: المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

- **إجراءات البحث**

سأعتمد بإذن الله على مجموعة من الإجراءات لإنجاز البحث منها:

١. أقرأ وأجمع حول التكوين الفكري للمتحولين قبل التحول.
٢. أقف على أسباب التحول إلى مذهب أهل السنة.
٣. أناقش أثر هذا التحول.
٤. أتبع المنهج العلمي المتعارف عليه أكاديمياً في عزو النصوص وتخريج الأحاديث والتعريف بالشخصيات وما إلى ذلك.

- **التصور المبدئي للبحث:**

ويشتمل على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة مشتملة على أهم النتائج والتوصيات.

- المقدمة، وفيها: مشكلة البحث، الحدود، مصطلحات البحث، أهمية الموضوع وأسباب اختياره، أهدافه، أسئلة البحث، منهج البحث، إجراءات البحث.

التمهيد: التحول الفكري أسباب ومظاهر:

١. تقلب الانسان أمر بدهي
٢. زيادة الخبرات والاحتكاك بالمخالف
٣. تغير الواقع الثقافي
٤. أنواع التحول الفكري
٥. من مظاهر التحول الفكري المقبول:

أ- الإسلام بعد الكفر
ب- تغيير الفتوى
ت- تغيير المذهب الفقهي
ث- التحول من مذاهب أهل الأهواء إلى مذهب أهل السنة

الفصل الأول: دوافع التحول إلى مذهب أهل السنة:

المبحث الأول: الدوافع العامة للتحول إلى مذهب أهل السنة:

المطلب الأول: قوة أدلة مذهب أهل السنة وجلاؤها
المطلب الثاني: وسطية مذهب أهل السنة واعتداله
المطلب الثالث: ضعف أدلة الفرق المنحرفة ومغالطتها
المبحث الثاني: الدوافع الخاصة للتحول إلى مذهب أهل السنة
الفصل الثاني: نماذج من التحولات إلى مذهب أهل السنة:
المبحث الأول: أبو الحسن الأشعري (من الاعتزال إلى أهل السنة).
المطلب الأول: آراؤه قبل التحول
المطلب الثاني: مراحل التحول
المطلب الثالث: مراحل تحوله وآراؤه فيها
المبحث الثاني: أبو المعالي الجويني (من الأشعرية إلى أهل السنة).
المطلب الأول: آراؤه قبل التحول
المطلب الثاني: مراحل تحوله وآراؤه فيها
المبحث الثالث: أبو حامد الغزالي (من الفلسفة والتصوف إلى أهل السنة)
المطلب الأول: آراؤه قبل التحول
المطلب الثاني: مراحل تحوله وآراؤه فيها
المبحث الرابع: الفخر الرازي (من الفلسفة والإلحاد إلى أهل السنة)
المطلب الأول: آراؤه قبل التحول
المطلب الثاني: مراحل تحوله وآراؤه فيها

- الخاتمة: النتائج والتوصيات.
- المراجع
- فهرس المحتويات

التمهيد:

التحول الفكري أسباب ومظاهر

أولا: تقلب الانسان أمر بدهي

يعد التحول الفكري ظاهرة بدهية في حياة العلماء والمفكرين عامة، وقد قال الشاعر قديما:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

وقد كان عامة قسم النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ومقلب القلوب"[1]، ولذلك قال الطرطوشي: " إن القلب كاسمه يتقلب وله خاصية تنزع وترجع"[2]، قال الراغب: "تقليب الله القلوب صرفها عن رأي إلى رأي"[3].

ثانيا: زيادة الخبرات والاحتكاك بالمخالف

ويزيد التحول الفكري بزيادة الخبرة والاحتكاك بالآخرين، بل إن المجتمعات تتغير مقدراتها وتوجهاتها جزئيا وأحيانا كليا بزيادة خبرتها واحتكاكها بغيرها، فكيف بالفرد؟ ومن أهم الأمثلة على ذلك دراسة العقيدة الإسلامية، فقد كانت العقيدة سهلة سمحة على يد السلف قبل دخول الإسلام فارس والروم والاحتكاك الثقافي بها، " ثم بعد الغزو الفلسفي اليوناني والفارسي والهندي لأمة الإسلام، كثر الجدل والتمنطق والسفسطة في موضوع الأسماء والصفات وغيره من قضايا التوحيد. فاضطر بعض الفقهاء إلى مجاراة التيار وتوظيفه ضد نفسه، حفاظاً على العقيدة. بتأويل الصفات الموهمة بالتشبيه بضرب من المجاز المعنوي القريب. ولكن هذه الخطوة فتحت هوة عميقة يصعب ردمها، هي هوة التأويل المغالي المتأثر بالفلسفة والتفكير الاعتزالي المغرق في التعطيل"[4].

وعلى النقيض من ذلك الحضارة الغربية التي ظلت متخلفة حتى احتكاكها بالحضارة الإسلامية من خلال معبر الأندلس فتحولت إلى حضارة فاعلة "فبعد تأثر الغرب بالحضارة العربية الإسلامية استبدل بمفاهيمه السابقة المفهوم الشامل للحضارة الذي يعد

---

(1) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر في مواضع منها: رقم ٦٦١٧.

(2) "سراج الملوك" للطرطوشي، ص: ١٨٦.

(3) "تنوير الحوالك" للسيوطي، (٣١٩/١).

(4) "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك" للطَّرَسوسي، ص:٢١.

سمة أساسية من سمات الحضارة العربية، أي أنها حضارة الشعب بفئاته وطبقاته كافة وليست حضارة نخبة أو طبقة... وهذا المفهوم الشمولي للحضارة أفاد منه الغرب وانعكس في نهضته وحضارته الحديثة"[1].

ثالثا: تغير الواقع الثقافي

ومن أسباب التحول الفكري تغير الواقع الثقافي للفرد، ولعل من أهم الأدلة على ذلك ما يحدث من أثر للابتعاث في نفس المبتعث نتيجة لتغير الواقع الثقافي، ويكفي التمثيل بالتغيرات العقدية التي فصلها د. عبد العزيز بن أحمد البدَّاح، وتتلخص في:

"١- إضعاف جانب الولاء والبراء (الذي هو أصلٌ من أصول العقيدة، وجانبٌ مهمٌّ لحماية المسلم وتكوين شخصيَّته المستقلة المتينة).

٢ – الدّخول في النصرانيّة: واستُند في هذا إلى بعض الوقائع التي تتناقلها وسائل الإعلام بين الحين والآخر لأخبار تنصر بعض شباب الإسلام وتأثرهم بالأديان الأخرى.

٣ – التشبع بالمفاهيم الفكريّة الباطلة، ومن هذه المفاهيم:

أ – المفهوم الكنسي للعلاقة بين الدّين والحياة، والمتمثل في المقولة المحرّفة (دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر)، وهذه هي النظرة العلمانيّة الفاسدة للدين باعتباره خارجًا عن الممارسات الحياتية العمليّة، وهذه النقطة واضحةٌ في كتابات بعض من تأثر بالابتعاث من كتاب الصحف وغيرهم.

ب – رفض الوحي باعتباره مصدرًا للمعرفة، وهذا الباب يتزعمه: محمد الجابري ومحمد أركون وصادق جلال العظم وسيّد القمني وعزيز العظمة وغيرهم.

٤ – التشبه بالكفار وتقليدهم، وهذه لا تحتاج إلى دليل، فهي لازم طبيعي مع طول المكث والإقامة بينهم"[2].

رابعا: من مظاهر التحول الفكري المقبول:

وإذا كان للتحول الفكري ألوانا بعضها مقبول سائغ وبعضها فاسد، فيهمني في هذا التمهيد أن أذكر بعض أنواع التحول المقبول لأنه ذو علاقة بموضوعي. فمن ذلك:

---

(١) د. آمنة عامر الكفيشي، موقع: http://brob.org/old/bohoth/bohoth/bohoth٠٩٢.htm)

(٢) موقع: ملتقى أهل التفسير http://vb.tafsir.net/tafsir٢٣٨٤٩/)

- **الإسلام بعد الكفر:** وهذا مشهور في كل عصر، ومن اهمها العصر النبوي الكريم حيث كان الرجل يتفكر في دين الإسلام ويقارن بينه وبين ما هو عليه من الكفر فيختار الإسلام[١].

وفي العصر الحديث تتكرر هذه القصص ويكفينا للتمثيل إسلام المفكر والصحفي الأوروبي محمد أسد (ليوبولد فايس)، والتي ضمنها كتابه "الطريق إلى مكة" أحد أشهر كتبه الذي احتوى على ترجمة لسيرته حتى سنة ١٩٣٢م، ويتضمن الكتاب رحلته إلى المشرق الإسلامي خصوصا القدس ومصر، ثم مكة، وكيف هداه الله إلى الإسلام[٢].

تغيير الفتوى: وهو مشهور أيضا ونلاحظه في كتب الفقه، ولعل من أشهره ما نسب إلى الإمام الشافعي من أن له مذهبين: القديم والجديد، فقد كان الإمام الشافعي ببغداد وتفقه فيها ثم ذهب إلى موطنه مكة سنة ١٨٩، واتخذ له حلقة في المسجد الحرام يعلم الناس ويفتي ثم عاد إلى بغداد سنة ١٩٨، وكانت له اجتهادات متعددة في الفقه وأصوله. ثم سافر إلى مصر أواخر سنة ١٩٩ وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٢٠٤، وفي هذه السنوات الأربع غير كثيرا من اجتهاداته، وأعاد تصنيف كتبه"[٣].

- **تغيير المذهب الفقهي:** وهذا كثير في تاريخ العلماء، ولعل الإمام أبا جعفر الطحاوي من أشهر الأمثلة عليه، فقد كان شافعيا ثم تحول لمذهب أبي حنيفة. ذكر أبو علي الخليلي في كتاب "الإرشاد" في ترجمة المزني أن محمد بن أحمد الشروطي قال: قلت للطحاوي: لم خالفت خالك، واخترت مذهب أبي حنيفة. فقال: لأني كنت أرى خالي [يقصد المزني] يديم النظر في كتب أبي حنيفة، فلذلك انتقلت إليه.[٤]

وكذلك ابن رزيق تلميذ محمد بن القاسم: كان له رحلة سمع فيها ابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم من المدنيين، وكان يذهب أولاً إلى مذهب الأوزاعي – وكان الفقه

---

(١) راجع مثلا: قصة إسلام الطفيل الدوسي في أسد الغابة الاستيعاب لابن عبد البر ٧٥٩/٢.

(٢) الكتاب طبع عدة طبعات من أشهرها الطبعة التي أصدرتها "منشورات الجمل" ببغداد وبيروت في ٥٦٠ صفحة.

(٣) انظر: الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد (حياته وعصره–أصوله وفقهه–أصحابه وأنصاره في نشر مذهبه–آثاره العلمية وكتبه) للدكتور أحمد النحراوي الأندونيسي، بدون اسم للناشر. وأصل الكتاب دراسة للحصول على درجة الدكتوراه بجامعة الأزهر.

(٤) "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان" لليافعي، (٢/ ٢١١)

أغلب عليه – ثم تحول إلى مذهب مالك"[١].

وأبو المظفر السمعاني: قال الرافعي: ""تحول إلى مذهب الشافعي"[٢].

- **التحول من مذاهب أهل الأهواء إلى مذهب أهل السنة:** وهذا هو الذي يقوم عليه بحثي إن شاء الله.

(١) "المقتبس من أنباء الأندلس" لابن حيان القرطبي، ص:٢١٧.

(٢) "التدوين في أخبار قزوين" لأبي القاسم القزويني، (١١٩/٤)

الفصل الأول: دوافع التحول إلى مذهب أهل السنة

المبحث الأول: الدوافع العامة

المبحث الثاني: الدوافع الخاصة

لا بد لكل تحول من أسباب ودوافع، وخصوصا إذا كان تحولا فكريا عميقا مثل التحول من مذهب قضى المرء فيه شطرا من عمره مفتنعا ومنافحا إلى مذهب آخر. وفي موضوعنا هذا سأحاول تبين دوافع تحول من نحن بصددهم، وهي دوافع عامة واخرى خاصة بكل منهم، وهو موضوع المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الدوافع العامة:

وهي تتعلق في جملتها بمزايا طريقة أهل السنة وعيوب الطرق المبتدعة. وهي كما يلي:

أولا: قوة أدلة مذهب أهل السنة وجلاؤها:

لأنها كتاب وسنة وآثار عن الصحابة والسلف. فهي سهلة الفهم والتناول. وواضحة الدلالة قويتها، " فمنهجهم قائم على العلم، فهم في كل أمر وفي كل حكم يطلبون الدليل من الكتاب والسنة، ولهذا نجد أن علماء السنة أجمعين الذين كتبوا، وكذلك الذين لم يدونوا بل سبقوهم؛ نجد أنهم جميعاً من أهل السنة والجماعة. قال بن عبد البر –رحمه الله–: "ليس في الاعتقاد كله، في صفات الله وأسمائه، إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله، أو صح عن الرسول ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"[1]

"وأهل السنة والجماعة أكثر الطوائف حرصاً على السنة تدويناً لها وحفظاً، وإن وجد من غيرهم من يهتم بها فهو لخدمة هوى في نفسه أو ليخلط حقاً بباطل –ولا يسلم من ذلك– أما أهل السنة والجماعة فإنهم يهتمون بكتاب الله عز وجل حفظاً وتلاوة، ويهتمون بسنة النبي ﷺحفظاً وفهماً وتصحيحاً وتضعيفاً، فالحديث الضعيف –فضلاً عن الموضوع– لا يعتد به ولا يعمل به، فضلاً عن الكشوفات أو الآراء أو الخيالات أو المنامات التي يعتمد عليها غيرهم. فهم إذاً يتميزون بالبصيرة وبالمنهج الصحيح، وهو منهج العلم المُتلقى عن رسول الله ﷺ، بواسطة أولئك الرجال الثقات الذين لم تشهد

([1]) "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر، (٢/٩٤٢).

أمة من الأمم على الإطلاق مثلهم في الحفظ والضبط والدقة والفهم والاستنباط"[1].

وهو يقوم في أساسه على ترك الجدال والخصومات، وذلك يجعل النفس لـه أميـل وقبولها له أدعى، فقد "كان للسلف موقف واضح وصريح من الجدل والخصومات فـي مسائل الاعتقاد، حتى عدوا الكلام والتمحل فيها من البدع، التي شـددوا النكيـر علـى مقترفيها"[2]. وقال مالك بن أنس ﷺ: "الكلام في الدين أكرهه، ولـم يـزل أهـل بلـدنا يكرهونه، وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا أحـب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله، وفي الله عز وجل، فالسكوت أحـب إلي، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في دين الله إلا فيما تحته عمـل"[3]. وقـد أدرك عمر بن عبد العزيز خطورة جعل معتقد الشخص عرضة للجدال والخصومات أذ يقول: "من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر الشك أو قال: يكثر التحول"[4]..

ثانيا: اتفاق السلف في مسائل الإعتقاد:

يقول الإمام الأصبهاني –رحمه الله–: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخـرهم، قـديمهم وحـديثهم، مـع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا مـن الأقطار؛ وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون على طريقـة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحـد، لا تـرى فـيهم اختلافا، ولا تفرقا في شئ ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحـق دليل أبين من هذا؟"[5].

([1])"خـصائص مـنهج أهـل الـسنة والجماعـة" د.سـفر الحـوالي (http://audio.islamweb.net/audio/Fulltxt.php?audioid=١١٠٧٢٢)

([2]) "الشريعة" للآجري، ص:٧٣؛ "سنن الدارمي"، (٥٥/١)؛ "شرح أصـول اعتقـاد أهـل الـسنة" للالكـائي، (٦٣٤/٤)؛ "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" لأبي إسماعيل الصابوني، ص:٥١؛ "تفسير القران العظـيم" لابـن كثير، (٣٩٠/٧)؛ "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلاني، (٤٥٨/٣).

([3]) "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر، (٩٣٨/٢)

([4]) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" للالكائي، (١٤٤/١)

([5]) "الحجة في بيان المحجة" للأصبهاني، (٢٣٩/٢).

ثالثا: وسطية معتقد أهل السنة:

يضاف إلى هذا ما تتميز به هذه العقيدة من الوسطية، فمذهب السلف "بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين: إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ ١١﴾[الشورى:١١]، رد على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، رد على أهل النفي والتعطيل، فالممثل أعشى، والمعطل أعمى: الممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً"(١) ومن أمثلة هذه الوسطية ما طرحه الشيخ صالح بن حميد في باب أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته، حيث يقول: "وسطٌ[أي اهل السنة والجماعة] بين المعطلة من الجهمية ومَن على شاكلتهم، وبين أهل التمثيل المشبهة، فأهل السنة والجماعة يثبتون لله أسماءه وصفاته التي سمى بها نفسه، وسماه بها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ووصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، يثبتونها على الحقيقة، لكنهم يفوضون في الكيفية، فيثبتون أن لله يداً، وأن له عيناً، سبحانه وتعالى، حقيقة كما يليق بجلال الله عزَّ وجلَّ وعظمته، ولا يلزم أبداً من إثبات الحقيقة التشبيه البتة، والأمر ظاهر... ولله الحمد"(٢).

رابعا: ضعف أدلة الفرق المنحرفة:

وذلك راجع لما يلي:

١. أنهم يستبعدون أهم مصدر للتلقي والاستدلال وهو الكتاب والسنة

فهم معرضون عن هذا المصدر إعراضا تاما، وإن زعموا انهم يأخذون به، ومن الأدلة على ذلك كلام الرازي وهو يقرر مذهب الأشاعرة فهو يجعل العقل حجة أولية، ويضع عشرة شروط لقبول النقل في الاحتجاج.

فأما أولية حجية العقل فلأن العقل عنده أصل النقل، حتى إذا تعارضا فالعقل هو المقدم، يقول الرازي: "إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يُجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعاً، وإما أن يقدم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو

---

(١) "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، (١٩٦/٥).

(٢)"الوسطية في منهج أهل السنة والجماعة" للشيخ صالح بن حميد= =http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=٢٧٧٥٨#٢٧٧٥٨<

أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل. ثم النقل إما أن يُتأول وإما أن يفوض وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما."[١]

وأما الشروط العشر لقبول النقل أصلا فهي: "...وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم والموقوف على المظنون مظنون وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية وأن العقلية قطعية والظن لايعارض القطع!!"[٢]، ويعلق د. جابر إدريس على هذا بقوله"هكذا خرج الرازي بهذه النتيجة السيئة التي أسقط بها الاحتجاج بصحيح المنقول في مسائل الإعتقاد وقدم عليها معقولاته التي وصفها بأنها قطعية وهي في الحقيقة وهمية خيالية!"[٣]

٢. تناقض هذه الفرق:

وقد تكفلت د. عفاف بنت حسن بن محمد مختار بيان هذا التناقض وصوره في دراستها "تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة دراسة نقدية في ضوء عقيدة السلف"، ويمثل البابان الثاني والثالث منها محور موضوعنا، إذ ذكرت في الباب الثاني بعض مظاهر التلون والاضطراب عند أهل الأهواء والبدع: أولاً: في الاستدلال كإيراد بعض الأدلة، ثم إثبات ما يوجب إبطالها، وتقرير قواعد فاسدة والقول بلوازمها. وثانياً: في الأصول، فذكرت اتفاق السلف في الأصول والسبب في اتفاقهم، ثم بعض الأصول الكبرى التي خالف فيها أهل الأهواء والبدع أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل الأهواء والبدع في تقرير الأصول الآتية ونقده في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة: أسماء الله وصفاته – الرؤية – عصاة المسلمين – الصحابة – التعامل مع المخالف.

بينما خصصت الباب الثالث في وقوع أهل الأهواء والبدع في نقيض القصد وكذلك الخلط في المسائل، والجمع بين المتناقضات، والخلط بين السنة والبدعة، وعدم الاعتماد على اليقين والقطع في قواعد أهل الأهواء والبدع، ثم تناقضهم في موقفهم من السلف. أما الباب الرابع: ففي إقرار أهل الأهواء والبدع بالحيرة والإفلاس في النهاية، وانحرافهم فتشبهوا باليهود والنصارى واتهم كل منهم الآخر بأنه ليس على شيء.

ولعل أبا الحسن الأشعري كان من أوائل من كشف تناقض فرقة المعتزلة، فإنه "بين

---

(١) "أساس التقديس" للرازي، ص:١٧٢

(٢) "محصل أفكار المتقدمين والمتاخرين" للرازي، ص:١٧٠

(٣) "منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل" د.جابر إدريس أمير، (٤٥٦/٢)

من فضائح المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادهم ما لم يبينه غيره، لأنه كان منهم، وكان قد درس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة، وكان ذكياً، ثم إنه رجع عنهم وصنف في الرد عليهم، ونصر في الصفات طريقة ابن كلاب لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم، ولم يعرف غيرها، فإنه لم يكن خبيراً بالسنة والحديث وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم "[1].

هذا بالنسبة لأهم الدوافع العامة لتحول من كان على مذهب من إلى أهل السنة.

المبحث الثاني: الدوافع الخاصة:

إلى جانب هذه الدوافع العامة نقل المترجمون بعض الدوافع الخاصة ببعض المتحولين لطريق أهل السنة، وسأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها متمثلا في الأشعري.

الدوافع الخاصة لتحول الأشعري:

لا بد أن يكون لرجوع الأشعري عن الاعتزال وتحوله لطريق السلف أسباب مقنعة، خصوصا أنه ملازم أبي علي الجبائي رأس المعتزلة وهو ايضا نائبه في الدرس والمناظرة.

وقد ذكرت المصادر أكثر من سبب يمكنني أن أذكرها وأعلق عليها:

١- تحير الأشعري بعد وصوله إلى درجة عميقة في الاعتزال بسبب أيراده بعض المشكلات الكلامية على شيخه الجبائي وعدم رده عليه بما يشفيه، فمع أنّ الأشعري هو خريج منهج المعتزلة وتلميذ شيخها أبي علي الجبّائي، ينقل ابن عساكر أحمد بن الحسين المتكلم قال: "سمعت بعض أصحابنا يقول: إن الشيخ أبا الحسن رحمه الله لما تبحر في كلام الإعتزال وبلغ غاية كان يورد الأسئلة على أستاذيه في الدرس ولا يجد فيها جوابا شافيا فتحير في ذلك"[2]، وهذا أمر طبعي، لأمرين:

الأول: أن الاضطراب الذي أشرت إليه في مذاهبهم يدعو إلى التساؤل. ومع عدم تثبت شيوخهم من مذهبهم لتناقض أدلتهم لا غرابة في عدم إجابتهم مما يدعو التلميذ إلى الحيرة والتشكك. وقد سطر لنا المترجمون له عدة من هذه المناظرات، إلا أني أكتفي بأشهرها وأكثرها تداولا وهي التي عرفت باسم مناظرة الإخوة الثلاثة، وهي كما يلي:

---

(١) "منهاج السنة" لابن تيمية، (٢٧٧/٥).

(٢) "تبيين كذب المفتري" لابن عساكر، ص: ٣٨,٩

ــ الأشعري: أتوجب على الله رعاية الصلاح أو الأصلح في عباده؟

ــ أبو علي: نعم.

ــ الأشعري: ما تقول في ثلاثة إخوة: أحدهم كان مؤمناً برّاً تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً، والثالث كان صغيراً فماتوا؛ كيف حالهم؟

ــ الجبائي: أمّا الزاهد ففي الدرجات، وأمّا الكافر ففي الدركات، وأمّا الصغير ففي أهل السلامة.

ــ الأشعري: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟

ــ الجبائي: لا، لأنّه يقال له: إنّ أخاك إنّما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

ــ الأشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس منّي، فإنّك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

ــ الجبائي: يقول الباري جلّ وعلا: كنت أعلم أنّك لو بقيت لعصيت، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك.

ــ الأشعري: لو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟

ــ الجبائي: إنّك مجنون.

ــ الأشعري: لا بل وقف حمار الشيخ في العقبة!![1]

الثاني: يروي المترجمون للأشعري بعض الرؤى التي رآها قاده تأويله إياها إلى ترك طريق الاعتزال، فمن هذه الرؤى قوله: "وقع في صدري في بعض الليالي شيء ممّا كنت فيه من العقائد، فقمت وصليت ركعتين، وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم، ونمت فرأيت رسول الله ﷺ بالمنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال رسول الله ﷺ: عليك بسنّتي، فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار فأثبته، ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً"[2].

وكذلك رؤيا يعدها بعض تلاميذه سببا في تحوله، يروي ابن عساكر عن أبي عبد الله الحسين بن محمد يقول: "سمعت غير واحد من أئمتنا يحكي كيف كان بدء رجوع

(١) انظر: درء التعارض (٣٢٣/٢).

(٢) درء التعارض (٣١٥/٢)

الإمام المبرأ من الزيغ والتضليل أبي الحسن علي بن اسماعيل إنه قال: بينا أنا نائم في العشر الأول من شهر رمضان رأيت المصطفى صلى الله عليه و سلم فقال: يا علي أنصر المذاهب المروية عني فإنها الحق فلما استيقظت دخل علي أمر عظيم ولم أزل مفكرا مهموما لرؤياي، ولما أنا عليه من إيضاح الأدلة في خلاف ذلك حتى كان العشر الأوسط فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: ما فعلت فيما أمرتك"[1]..

وقد حاول الشيخ جعفر السبحاني التشكيك في هذه الرؤى بقوله: "وكان الأولى للمحقّق ترك نقل هذه المنامات، لأنّ العوام والسذج من الناس إذا أعوزتهم الحجة في اليقظة، يلجأون إلى النوم فيجدون ما يتطلبونه من الحجج في المنام، فيملأون كتبهم بالمنامات والرؤى. أضف إلى ذلك وجود التهافت بين المنامين، فإنّ الأوّل يعرب عن ظهور الشكّ في صحّة معتقداته قبل المنام وتزايده إلى أن أدى إلى التحول والبراءة بسبب الرؤيا، ولكن الثاني يعرب عن أنّ التحول كان فجائياً غير مسبوق بشيء من الشك والتردد في صحّة المنهج الذي عاش عليه فترة من عمره "[2].

ولا أرى غرابة في وقوع مثل هذه الرؤى لا شرعا ولا واقعا. وأما وجود التهافت لسبب الذي ذكره فأمر يحتاج إلى دليل؛ لأن الإنسان يمكن أن يرى رؤيتين متفقتين في الغاية وإن اختلفتا في التفاصيل.

وعموما فالتحول لا بد له من دوافع واقعية، وهذه الرؤى وغيرها ما هي إلا ترجمة لهذه الدوافع الواقعية، فلا مانع من قبولها.

---

(1) "تبيين كذب المفتري" لابن عساكر، (١/٤٠)

(٢) "بحوث في الملل والنّحل" للسبحاني، (٢/٢٣)

الفصل الثاني: نماذج من التحولات إلى مذهب أهل السنة:

المبحث الأول: أبو الحسن الأشعري (من الاعتزال إلى أهل السنة).

المبحث الثاني: أبو المعالي الجويني (من الأشعرية إلى أهل السنة).

المبحث الثالث: أبو حامد الغزالي (من الفلسفة والتصوف إلى أهل السنة).

المبحث الرابع: الفخر الرازي (من الفلسفة والإلحاد إلى أهل السنة).

المبحث الأول: أبو الحسن الأشعري (من الاعتزال إلى أهل السنة)

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول

المطلب الثاني: مراحل التحول

المطلب الثالث: آراؤه بعد التحول

المبحث الأول: أبو الحسن الأشعري (من الاعتزال إلى أهل السنة)

(٢٦٠ – ٣٢٤ هـ / ٨٧٤ – ٩٣٦ م)

اسمه ولقبه:

وهو على بن إسماعيل بن أبى بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى موسى عبد الله بن قيس.

تكوينه العلمي، وشيوخه:

كان أولا قد أخذ عن أبى على الجبائي، وتبعه في الاعتزال يقال أقام على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماما، فلما أراده الله لنصر دينه، وشرح صدره لاتباع الحق؛ غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما، ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر، وقال: معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى فهداني الى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه. وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة إلى الناس.

ومن شيوخه غير الجبائي زكريا الساجي، وروى أيضا عن أبى خليفة الجمحي، وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقبري وعبد الرحمن بن خلف الضبي البصريين، وهم من المحدثين.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني: كنت في جنب الشيخ أبى الحسن الباهلي كقطرة في جنب البحر، وسمعت الباهلي يقول: كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر.

وقال القاضي الباقلاني: أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبى الحسن.

وفاته:

والصحيح أن وفاة الشيخ بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة، والأقرب أنها سنة أربع وعشرين، وهو ما صححه ابن عساكر، وذكره أبو بكر بن فورك.[١]

تلاميذه ومصنفاته:

ومن الآخذين عن الشيخ الأستاذ أبو سهل الصعلوكي، والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني، والشيخ أبو بكر القفال، والشيخ أبو زيد المروزي، والأستاذ أبو عبد الله بن خفيف، وزاهر بن أحمد السرخسي، والحافظ أبو بكر الجرجاني الإسماعيلي، والشيخ أبو بكر الأودني، والشيخ أبو محمد الطبري العراقي، وأبو الحسن عبد العزيز بن محمد بن إسحاق الطبري، المعروف بـ "الدمل"، وأبو جعفر السلمي "النقاش"، وأبو عبد الله الأصبهاني الشافعي، وأبو محمد القرشي الزهري، وأبو منصور بن حمشاد.[٢]

واما مصنفاته فقيل: بلغت ثلاثمئة كتاب، منها "إمامة الصدّيق" و "الرد على المجسمة" و "مقالات الإسلاميين" جزان، و " الإبانة عن أصول الديانة " و " رسالة في الإيمان" و " مقالات الملحدين " و " الرد على ابن الراونديّ " و " خلق الأعمال " و " الأسماء والأحكام " و " استحسان الخوض في الكلام " و " اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع " يعرف باللمع الصغير.[٣]

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول:

كان لنشأة الأشعري في بيت الجبائي إمام المعتزلة في زمانه أثره البالغ على حياته الفكرية، فقد استقى منه مذهب الاعتزال، وظل على عقيدة المعتزلة زمناً طويلاً ملازما لشيخه الجبائي حتى بلغ في علم الكلام حداً فاق فيه الأقران وصار فيه إماما، قال ابن تيمية: "كان خبيرا بمذاهبهم إذ كان من تلامذة أبي علي الجبائي وقرأ عليه أصول

---

(١) انظر: "طبقات الشافعية" للسبكي، ص: ٣٤٧ وما بعدها

(٢) "طبقات الشافعية" للسبكي، ص: ٣٦٨.

(٣) "الأعلام" للزركلي، (٢٦٣/٤)

المعتزلة أربعين سنة "[1].

وكان داعيا إلى العقيدة الاعتزالية ومدافعا عنها، فإنه "شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة ونسبته في الكلام اليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم"[2] فكان موافقا له في الأصول الخمسة وهي:

التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا مجمل اعتقاده قبل رجوعه عن الاعتزال.[3]

فأما التوحيد: فيعرف في مصطلح المتكلّمين بأنّه العلم بأنّ الله سبحانه واحد لا يشاركه غيره في الذات والصفات والأفعال والعبادة وبالجملة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١ومن ثم يرى المعتزلة أن من التوحيد الإيمان بعدم اجتماع قديمين، فوجب أن تكون صفات الله محدثة بزعمهم.

ويدعون إلى تنزيهه سبحانه عمّا لا يليق به كالحاجة وكونه جسماً أو جسمانيّاً، عرضاً أو جوهراً أو غير ذلك – بزعمهم – وعلى هذا تتفرع مسائل من أهمها:

- مسألة الصفات: وهي أن المعتزلة ينفون الصفات الخبرية كلها، ويؤولونها بما يخرجها عن معناها، فاليد هي القدرة، والعين العناية، ومثل ذلك الساق وغيرها. ناهيك بموقفهم مما يسمى صفات الذات.
- مسألة رؤية الباري تعالى في الآخرة: فهم ينفونها بمرة، ويتأولون الآيات على أن المراد بها ينتظرون ثوابه.
- مسألة القرآن: فهم يقولون بأنه مخلوق محدث.

وأما العدل: فمعناه عندهم أن الله منزه – بزعمهم – عن فعل القبيح فهو لا يفعله ولا يقدر على فعله، ويجب عليه أن يفعل الحسن، وتتعلق به مسألة مهمة وهي مسألة خلق أفعال العباد ومؤداها أن الله لم يخلق فعل العبد وإنما الذي خلقه هو العبد نفسه. وذلك من أجل الهروب من إشكالية عقلية طرحوها وهي إذا كان الله خالقا لأفعال العباد فكيف يعذبهم بها؟

---

(1) "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية، (٦٣١/٦).

(2) "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، (٥٢/٦).

(3) "أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف" لهادي أحمد عل طالبي، ص:٢٩.

وأما الوعد والوعيد: فمؤداه عندهم أن الله يعذب الكافر والفاسق في النار ويثيب المؤمن الطائع بالجنة. ولا يجوز لله أن يعفو عن الكافر أو الفاسق ولا يجوز لأحد أن يشفع فيهما.

فتتفرع عليه مسألة مهمة هي مسألة الشفاعة في الآخرة فهم ينفونها ويردون الأحاديث المتواترة الواردة فيها.

وأما المنزلة بين المنزلتين: ومؤداه عندهم أنّ صاحب الكبيرة لا يسمّى مؤمناً، كما عليه جمهور المسلمين ولا كافراً، كما عليه الخوارج، وإنّما يسمّى فاسقاً. فهو من حيث الإيمان والكفر في منزلة بين المنزلتين.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فمؤداه عندهم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدرجاته ومراتبه. لكن يميزه امران:

الأول: وجوب الخروج على أئمة الجور ومنابذتهم بالسيف.

والثاني: الدعوة إلى مبادئهم التي سبقت وفرضها بالقوة على الناس.

فهذه هي الأصول التي اعتنقها الأشعري قبل تحوله إلى مذهب أهل السنة ودعا إليها.

المطلب الثاني: مراحل التحول

مر الأشعري بأطوار مختلفة نظراً لاختلاف البيئة التي نشأ فيها وتربى بينها حيث كان ربيبا لشيخ المعتزلة كما أنه نشأ في مدينة الاعتزال "البصرة" وتكاد المراجع كلها تتفق على أن الأشعري نشأ معتزلياً ثم انتقل إلى المذهب الكلامي، ثم هداه الله إلى الحق ورجع إلى مذهب أهل السنة والحديث. يقول ابن النديم في "الفهرست" – وهو أقدم مصدر يذكر ذلك –: "أبو الحسن الأشعري من أهل البصرة، كان معتزلياً ثمّ تاب من القول بالعدل وخلق القرآن، في المسجد الجامع بالبصرة، في يوم الجمعة رقي كرسياً، ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه نفسي، أنا فلان بن فلان، كنت قلت بخلق القرآن، وإنّ الله لا يرى بالأبصار، وإنّ أفعال الشر أنا أفعلها. وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة، وخرج بفضائحهم ومعايبهم. وكان فيه دعابة ومزح كبير"[1].

([1]) "الفهرست" لابن النديم، ص:٢٣١.

وقول ابن النديم هذا سار عليه معظم المؤرخين القدامى والمحدثين، إلا أن الحذاق منهم، وأهل الفقه والعلم بعقيدة السلف ذكروا أنه تنقل في أطواره فكان أولاً معتزلياً، ثم سلك طريقاً وسطاً بين الاعتزال وأهل السنة، وأخيراً رجع إلى عقيدة السلف.

وعلى هذا فالأطوار التي مر بها الأشعري ثلاثة كما يلي:

الطور الأول:

كان فيه معتزلياً يقول بقولهم ويأخذ بأصولهم حتى صار إماماً لهم كما سبق.

الطور الثاني:

خرج فيه على المعتزلة ومال إلى أهل السنة والحديث ولماً يلحق بهم. وفي هذا الطور سلك طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب[1]. وزاد عليه قوله: إن كلام الله تعالى لا يتصف بالأمر والنهي والخبر في الأزل لحدوث هذه الأمور وقدم الكلام النفسي، وإنما يتصف بذلك فيما لا يزول.

ويقول ابن تيمية: "فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري وغيرهم "[2].

والمراد بالصنفين في كلام ابن تيمية: السلف المثبتون، والمعطلة النفاة.

وأنا أرى أن خير كتاب يمثل هذا الطور عند الأشعري – فيما بين يدينا من كتب – هو كتاب "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع"، ذلك أن الأشعري يهاجم فيه المعتزلة هجوماً شديداً، ويدخل معهم في مناقشات جدلية تصل إلى حد التعقيد أحياناً، فهو بهذا يتخلص من مذهب الاعتزال ويرد عليه ويفنده، ومع هذا نجد أنه لا يذكر الإمام أحمد ولا يشيد بمذهبه كما فعل في الإبانة، كما أنه لم يتعرض لذكر كثير من الصفات التي يؤمن بها السلف كالوجه والاستواء، ويتكلم عن نظرية الكسب بإسهاب.

فلذا أمكن القول بأنه كان في هذا الطور وسطاً بين السلف كالإمام أحمد بن حنبل والمعتزلة، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك في قوله: "وأبو الحسن لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب ومال إلى أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد

---

(1) وهو من المتكلمين الذين يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة وليسوا منهم، ولكنهم أقرب من غيرهم نسبياً.

(2) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية، (١ / ٢٤١).

كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها"[1]

ويلاحظ أن ابن تيمية هنا ذكر طورين للأشعري دون أن يفصل بينهما ويوضح، وإن كان يفرق بين طريقة ابن كلاب ومذهب الإمام أحمد.

ولكني لم أقف على تحديد للمدة التي بقيها الأشعري على طريقة ابن كلاب بعد البحث والتحري، ولكن الثابت عنه أنه انتقل إلى مذهبه.

ولا شك أن الأشعري كان يعيش مرحلة حرجة في تلك الفترة التي سبقت رجوعه إلى منهج السلف بعد إعلانه خروجه من الاعتزال، حتى إنه اعتزل الناس خمسة عشر يوماً في بيته، خرج بعدها بالقرار الذي أعلنه على الناس في المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة، حيث رقى كرسياً ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة

ويلاحظ من هذا القرار أن الأشعري يعلن براءته صراحة من المعتزلة وينص على بعض العقائد التي خرج عليهم فيها، وسلك فيها سبيل أهل الهدى والرشاد.

ونقطة تحول الأشعري هذه هي أهم شيء حدث له في تاريخ حياته، فقد كانت نصرا على المعتزلة إذ يرد عليهم من هو عارف بطرقهم الكلامية ومذاهبهم، عارف بطرقهم الكلامية ومذاهبهم، يقول محقق رسالة الثغر: "ومن وقت الإعلان بدأ الأشعري يدافع عن عقائد أهل السلف ويحارب المعتزلة بكل ما أوتي من لسان وبيان حتى صار شجى في حلوق المعتزلة"[2].

كما كان لها أثر كبير في نصرة مذهب السلف أهل السنة والجماعة ودحض الباطل الذي كان عليه قبل ذلك، وخاصة بعد ما حرر نفسه بالرجوع الكامل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان ذلك في طوره الأخير وهو:

الطور الثالث

هو الذي أعلن فيه الأشعري انتسابه إلى الإمام أحمد كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه الإبانة، وتصريحه بذلك يدل على أنه وقف على كتب الإمام أحمد، واستقى منها كثيراً في العقيدة، وهذا يظهر في كلامه على الصفات ومطابقته لكلام الإمام أحمد وذلك مثل

---

(1) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية، (١٦/٢).

(2) انظر: "رسالة أهل الثغر" لأبي حسن الأشعري، ص: ٣٧.

صفة الكلام.

إلا أنه يجدر الإشارة إلى أمر وهو أنه "اختلف العلماء والباحثون- بعد اتفاقهم على الطور الأول الذي هو طور الاعتزال- هل مر الأشعري بعد تحوله بطور أو طورين؟، ويمكن تحديد الأقوال كما يلي:

الأول: أن الأشعري- بعد تحوله- بقي على طور واحد، وأنه في هذه المرحلة تابع ابن كلاب، لكن كانت له آراء مستقلة توسط فيها بين المعتزلة والمثبتة، نشأ عنها ما يسمى بالمذهب الأشعرى، وهذا قول الأشعرية، أما كتاب الإبانة فإما أن يتغافلوا عنه، أو يقولوا بإثباته، لكنهم يفسرون مافيه من الإثبات بأن ذلك جاء على طريقة "التفويض" وأن هذا لا يتعارض مع القول بتأويل بعض الصفات.

وهذا القول يقول به أيضا بعض العلماء من غير الأشاعرة، وهؤلاء يقولون: إن الأشعري سار على طريقة ابن كلاب، فبقيت عليه بقايا من مذهب الاعتزال، أما كتاب الإبانة فيرون أنه مع أنه يقرب فيه كثيرا من مذهب السلف في الاستدلال بالنصوص، إلا أن ما أثبت فيه هو مذهبه قبل ذلك، ولذلك فليس فيه ما يعارض كتبه السابقة، والمباحث التي ركز عليها في كتاب " اللمع" لم يركز عليها في كتاب الإبانة، فليس بينهما تعارض، وليس في الإبانة ما يدل على رجوعه عن مذهب ابن كلاب.

فهذان رأيان يتفقان في أن الأشعري مر بعد الاعتزال بمرحلة واحدة، ويختلفان في التفسير والتحليل.

الثاني: أن الأشعري بعد تحوله مر بطورين:

أ- طور التوسط والسير على طريقة ابن كلاب.

ب- وطور الإثبات والتخلي عن طريقة ابن كلاب والسير على منهاج أهل السنة والجماعة كما في "الإبانة""[1].

إلا أن الرأي الأول – في نظري – لا يعتمد على أدلة متكاملة فهم ينظرون إلى بعض آرائه التي وافق فيها ابن كلاب ولا ينظرون إلى كتاب الإبانة نظرة فاحصة، بل إلى رسالته إلى أهل الثغر التي لا مجال بعدها لخلاف في أنه مر بالأطوار الثلاثة.

وأما تشكيكهم في نسبة كتاب الإبانة إليه فهو محض افتراضات لا يسندها نقل أو عقل؛

([1]) "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" لعبد الرحمن المحمود، (٣٧٨/١).

فقد نقل عنها كبار العلماء مثل:

الإمام البيهقي صاحب السنن في كتابه "الاعتقاد" قال: "وقد ذكر الشافعي -رحمه الله- ما دل على أن ما نتلوه في القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله عز وجل وأن الله عز وجل كلم به عباده بأن أرسل به رسوله صلى الله عليه و سلم وبمعناه ذكره أيضا علي بن إسماعيل في كتاب الإبانة"(١).

والإمام ابن عساكر فقد أثنى عليه في "تبيين كذب المفتري" يقول: " ولم يزل كتاب الإبانة مستصوبا عند أهل الديانة وسمعت الشيخ أبا بكر احمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشار البوشنجي المعروف بالخر كردي الفقيه الزاهد يحكي عن بعض شيوخه ان الإمام أبا عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري قال ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا وبيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب"(٢).

قال: "... فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة...." (٣) ثم نقل الكتاب برمته.

والحافظ الذهبي في كتابه "العلو للعلي الغفار" يقول: " وكتاب الابانة من أشهر تصانيف أبي الحسن الأشعري"(٤).

وقد أوضح الحافظ ابن كثير – رحمه الله – مراحل تحول أبي الحسن فقال في الطبقة الثالثة من كتابه طبقات الفقهاء عند الشافعية "ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق، ونحو ذلك.

---

(١) "الاعتقاد" للبيهقي، ص:١٠٧.

(٢)"تبيين كذب المفتري" لابن عساكر، ص: ٣٨٩.

(٣) "تبيين كذب المفتري" لابن عساكر، ص: (٣٨٠-٣٨٩).

(٤) "العلو للعلي الغفار" للذهبي، ص: ٢١٩.

والحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً"[1]

ويلخص الدكتور "محمد أبو زهرة" منهج الأشعري بعد تحوله عن المعتزلة في نقاط أربع كما يلي:

١ – أنه يرى أن يأخذ بكل ما جاء به الكتاب والسنة من عقائد، ويحتج بكل وسائل الإقناع والإفحام.

٢ – أنه يأخذ بظواهر النصوص في الآيات التي يظن أنها توهم التشبيه من غير أن يقع في التشبيه، فهو يعتقد أن لله وجهاً لا كوجه العبيد، وأن لله يداً لا تشبه أيدي المخلوقات.

٣ – أنه يرى أن أحاديث الآحاد يحتج بها في العقائد وهي دليل لإثباتها وقد أعلن اعتقاد أشياء ثبتت بأحاديث الآحاد.

٤ – أنه في آرائه كان يجانب أهل الأهواء جميعاً ومنهم المعتزلة ويجتهد في ألا يقع فيما وقع فيه كثير من المنحرفين.

ثم عقب أبو زهرة على ذلك بقوله: "وقد سلك الأشعري في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل، فهو يثبت ما جاء به القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله ورسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب ويتجه إلى الأدلة العقلية، والبراهين المنطقية يستدل بها على الله سبحانه وتعالى ... "[2]

المطلب الثالث: آراؤه بعد التحول

حددت الدكتورة "فوقية حسين" منهج الأشعري في المسائل الدينية والاعتقادية من خلال كتبه وخرجت منها بعدة أصول سار عليه الأشعري في كتبه، وهي في جملتها الأصول التي عليها السلف الصالح وهي كما يلي:

الأصل الأول: إعطاء الأولوية للنص المنزل قرآناً كان أم سنة.

الأصل الثاني: تفسير القرآن بالقرآن.

الأصل الثالث: تفسير القرآن بالحديث.

الأصل الرابع: أخذه بما أجمع عليه السلف قبله.

---

(١) "طبقات الشافعية" لابن كثير، (٢٠٥/١)

(٢) " ابن تيمية حياته وعصره" لمحمد أبو زهرة، ص:(١٦٠-١٦١).

الأصل الخامس: أن القرآن الكريم على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة.

الأصل السادس: الاعتقاد واليقين بأن الله خاطب العرب بلغتهم.

الأصل السابع: مراعاة مناسبة النزول.

الأصل الثامن: مراعاة الخصوص والعموم[1]

والناظر في هذه الأصول يتبين له أنها أصول سليمة لفهم القرآن والسنة والسائر عليها لا شك متبع لطريق الهدى والرشاد وهو ما صار عليه الأشعري أخيراً بعد عودته إلى مذهب السلف، ولقد اتبع هذه الأصول في كتابه الإبانة ورسالة أهل الثغر.

هذا هو منهج الأشعري الذي سلكه وسار عليه بعد رجوعه عن الاعتزال والكلابية مع ميوله إلى النزعة الكلامية في تأييده لهذا المنهج وذلك بسبب نشأته الأولى الاعتزالية وقيامه بالدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد من انحرفوا عنها من المتكلمين، فكان لابد له من سلوك طريقتهم في الرد عليهم لأنهم لا يقتنعون بأدلة النصوص.[2]

ومن مؤلفاته في هذا الطور كتاباه "الإبانة عن أصول الديانة" و"رسالته إلى اهل الثغر".

فقد ذكر الأشعري في كتابه "الإبانة" ما يعتقده ويدين به حيث قال:" قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم.

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نرد من ذلك شيئا، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده

---

(1) انظر: "الإبانة عن أصول الديانة" لأبي حسن الأشعري، ص: (١١٠-١٣٠).

(2) "رسالة أهل الثغر" لأبي الحسن الأشعري، ص:٤٠.

ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق. وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن الممارسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء، إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد.[1] إلخ ما ذكر.

وهذا هو معتقد أصحاب الحديث الأوائل، وهو معتقد اهل السنة من العلماء لم يختلف أحد عنه.

وأما رسالته إلى أهل الثغر بباب الأبواب فهي رسالة صغيرة لكنها تحوي مجمل اعتقاده، وقد وجهها لأهل ثغر باب الأبواب بناء على طلبهم ذلك منه، يقول في بدايتها: "أما بعد أيها الفقهاء والشيوخ من أهل الثغر بباب الأبواب حرسكم الله بسلطانه وأيدكم بنصره فقد وقفت على ما ذكرتموه في كتابكم الوارد على بمدينة السلام من خير نعم الله عليكم واستقامة أحوالكم فأسرني وكثر لله عز وجل عليه شكري ورغبت إليه تعالى ومجتهدا في تمام ما أولاكم وإسباغ نعمة علينا وعليكم وهو تعالى ولي الإجابة وحقيق لجميل الموهبة.

ووقفت أيدكم الله على ما ذكرتموه من أحمادكم جوابي عن المسائل التي كنتم أنفذتموها إلي في العام الماضي وهو سنة سبع وستين ومائتين ووقوع ماذكرته فكم فيها الموقع الذي حمدتموه وعرفتم وجه الصواب فيه وإعراضكم عمن ألقى تلك المسائل واحتال في بثها عندكم

وحمدت الله عز وجل على حراستنا وإياكم من شبه الملحدين في دينه والصادين عن اتباع رسله وسألته أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بحبله والمقيمين على الوفاء بعهده إنه ولي ذلك والقادر عليه

ووقفت على ما التمستموه من ذكر الأصول التي عول سلفنا رحمة الله عليهم وعليها وعدلوا إلى الكتاب والسنة من أجلها واتباع خلفنا الصالح لهم في ذلك وعدولهم عما

---

(1) "الإبانة عن أصول الديانة" لأبي حسن الأشعري، ص:(٢٠-٢١).

صار إليه أهل البدع من المذاهب التي أحدثوها وصاروا إلى مخالفة الكتاب والسنة بها وما ذكرتموه من شدة الحاجة إلى ذلك فبادرت أيدكم الله بإجابتكم إلى ما سألتموه لما أوجبه من حقوقكم والكرامة لكم وذكرت لكم جملا من الأصول مقرونة بأطراف من الحجاج تدلكم على صوابكم في ذلك وخطأ أهل البدع فيما صاروا إليه من مخالفتهم وخروجهم عن الحق الذي كانوا عليه قبل هذه البدع معهم ومفارقتهم بذلك الأدلة الشرعية وما أتى به الرسول منها ونبه عليها وموافقتهم بذلك لطرق الفلاسفة والصادين عنها والجاحدين لما أتت به الرسل عليهم السلام منها.

ولم آلكم وسائر من تأمل ما ذكرته نصحا لما يوجب على من حق نعم الله فيكم وأرجوه من نيل الثواب بإجابتكم مستعينا في جميع ذلك بالله عز وجل وتوكلا عليه وهو حسبي ونعم الوكيل"[1].

وقد احتوت الرسالة على واحد وخمسين إجماعا حكاها الأشعري على مجمل اعتقاد السلف بتفاصيل جزئياته بما لا يحسن الإطالة بتفصيله، وأكتفي بالإحالة إلى مقدمة الدكتور عبد الله الجنيدي للرسالة.

(1) "رسالة أهل الثغر" لأبي الحسن الأشعري، ص: (١٢٧– ١٣٥).

المبحث الثاني: أبو المعالي الجويني (من الأشعرية إلى أهل السنة).

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول

المطلب الثاني: آراؤه بعد التحول

المبحث الثاني: أبو المعالي الجويني (من الأشعرية إلى أهل السنة).

(٤١٩ – ٤٧٨ هـ / ١٠٢٨ – ١٠٨٥ م)

اسمه ولقبه:

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوية الجويني، النيسابوري، إمام الحرمين أبو المعالي.

تكوينه العلمي، وشيوخه:

ولد الشيخ أبي محمد ولد في الثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة، واعتنى به والده من صغره، لا بل من قبل مولده، وذلك أن أباه اكتسب من عمل يده مالا خالصا.

أخذ الإمام في الفقه على والده، وكان والده يعجب به ويسر لما يرى فيه من مخايل النجابة، وأمارات الفلاح، وجد واجتهد في المذهب والخلاف والأصولين وغيرها، ثم توفي والده وسنه نحو العشرين، وهو مع ذلك من الأئمة المحققين؛ فأقعد مكانه في التدريس. فكان يدرس ثم يذهب بعد ذلك إلى مدرسة البيهقي حتى حصل الأصول عند أستاذه أبي القاسم الإسكاف الإسفرايني، وكان يواظب على مجلسه. قال عبد الغافر الفارسي: وقد سمعته يقول في أثناء كلامه كنت علقت عليه في الأصول أجزاء معدودة وطالعت في نفسي مائة مجلدة.

وكان يصل الليل بالنهار في التحصيل، ويبكر كل يوم قبل الاشتغال بدرس نفسه إلى مسجد أبي عبد الله الخبازي، يقرأ عليه القرآن، ويقتبس من كل نوع من العلوم ما يمكنه، مع مواظبته على التدريس، وينفق ما ورثه، وما كان يدخل له على المتفقهة، ويجتهد في المناظرة، ويواظب عليها، ثم خرج إلى بغداد فالتقي بالأكابر من العلماء، ودارسهم وناظرهم حتى طار ذكره في الأقطار، وشاع ذكره واسمه، ثم توجه إلى الحج، وجاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ويجتهد في العبادة ونشر العلم، ثم عاد إلى نيسابور بعد ولاية السلطان ألب أرسلان، فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور، وأقعد

للتدريس فيها، وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم[١]، قال الباخرزي في "الدمية" يصفه: "الفقه فقه الشافعيّ، والأدب أدب الأصمعي، وفي الوعظ الحسن البصري"[٢].

ومن شيوخه والده، وأبو حسان محمد بن أحمد المزكي، وأبو سعد عبد الرحمن بن حمدان النصروي، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى المزكي، وأبو سعد عبد الرحمن بن الحسن بن عليك، وأبو عبد الرحمن محمد ابن عبد العزيز النيلي، وغيرهم وأجاز له أبو نعيم الحافظ[٣]، وكلهم من أصحاب الحديث.

وفاته:

توفي بنيسابور[٤] ليلة الأربعاء بعد صلاة العتمة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وسبعين وأربعمائة[٥]

مصنفاته وتلاميذه:

له مصنفات كثيرة، منها " غياث الأمم والتياث الظلم" و " العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية" و " البرهان " في أصول الفقه، و " نهاية المطلب في دراية المذهب" في فقه الشافعية، و " الشامل " في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة، و " الإرشاد " في أصول الدين، و " الورقات " في أصول الفقه، و " مغيث الخلق "[٦].

ومن تلامذته: زاهر الشحامي، وأبو عبد الله الفراوي، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وغيرهم[٧].

من خلال ترجمة أبي المعالي نلاحظ أنه يتميز بحدة الذكاء حتى وصفه الذهبي بفرط الذكاء، فقال: " كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته..."[٨].

---

(١) "طبقات الشافعية" للسبكي، (١٦٥/٥) وما بعدها.

(٢) "الأعلام" للزركلي، (١٦٠/٤).

(٣) "طبقات الشافعية" للسبكي، (١٧١/٥).

(٤) "الأعلام" للزركلي، (١٦٠/٤).

(٥) "طبقات الشافعية" للسبكي، (١٨١/٥)

(٦) "الأعلام" للزركلي، (١٦٠/٤).

(٧) "طبقات الشافعية" للسبكي، (١٧١/٥).

(٨) "سير أعلام النبلاء" للذهبي، (١٨/ ٤٧١)

وهذا الذكاء والعقل جعله يلحظ الفكرة فإذا اعتنقها دافع عنها بقوة. ولذا كانت حياته العلمية متدرجة في الوصول إلى الحق بحيث يمكن إجمالها في:

- طور ما قبل التحول إلى طريقة السنة واهلها.
- ومرحلة التحول إلى طريقة أهل السنة.

وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول

وهذه المرحلة تتميز بدفاع الجويني عن العقيدة الأشعرية ولكن بطريقة كلامية تشوبها الفلسفة في بعض ملامحها، ولاشك أن الجويني قد تأثر بالفلسفة لطول مداومته مطالعة كتبهم، بقي ان أقول إن الجويني تأثر بالفلاسفة في عباراته وصوغه للأدلة – وإن كان لم يقل بأقوالهم – فمن مظاهر هذا التأثر:

١- كثرة نقوله عنهم:

فمثلا: يقول في مسألة إحاطة الإنسان بأحكام الإلهيات وحقائقها: "أقصى إفضاء العقل إلى أمور جميلة منها، والدليل القاطع في ذلك على رأي الإسلاميين: إن ما يتصف به حادث، وموسوم بحكم النهاية، يستحيل أن يدرك حقيقة مالا يتناهى، وعبر الأوائل عن ذلك بأن قالوا: تصرف الإنسان في المعقولات بفيض ما يحتمله من العقل عليه، ويستحيل أن يدرك الجزء الكل، ويحيط جزء طبيعي له حكم عقلي بما وراء عالم الطبائع، وهذه العبارات وإن كانت مستنكرة في الإسلام، فهي محومة على الحقائق"[١]. ولا شك أن المقصود بالأوائل هم الفلاسفة لأنهم كانوا يعبرون عنهم بهذا.

٢- التحديد الدقيق للمصطلحات في كتبه:

فهو قبل أن يبدأ في الكلام في أي باب يبدأ بتعريف المصطلحات والتعريفات، وتأخذ هذه المقدمات – أحياناً – قسطاً كبيراً من كتبه، وهذا المنهج الذي سلكه الجويني ظهر جلياً في كتب متأخري الأشعرية، حيث يصل الأمر أن تبلغ المقدمات أكثر من ثلثي الكتاب قبل أن يدخل المؤلف في المقصود من الكتاب وهو البحث في الإلهيات، ومن الأمثلة على ذلككتاب لمع الأدلة وكتاب الإرشاد.[٢]

---

(١) "البرهان" للجويني (٣١/١).

(٢) انظر: مثلاً لمع الأدلة (من أول الكتاب، ص: ٧٦)، وما بعدها؛ الإرشاد (ص: ٥) وما بعدها

٣- كما تأثر بالمعتزلة وإن لم يكن معتزليا، فقد اقترب كثيراً منهم في بعض الوجوه، منها مخالفته لجمهور شيوخه في المذهب الأشعري في إثباتهم بعض الصفات، كصفة اليد والعين والوجه مع تأولهم صفات أخرى كالاستواء الأمر الذي أداه إلى النزوع إلى تأويل الجميع، يقول: "ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود" [١].

ومن أبرز الكتب التي تحمل أراءه قبل التحول كتابا (الإرشاد) و(الشامل):

ففي كتابه الإرشاد يقرر سبب تأليفه وأهمية علم العقيدة بقوله "هذا، ولما رأينا أدلة التوحيد عصاما للتسديد ورباطا لأسباب التأييد والفينا الكتب المبسوطة المحتوية على القواطع الساطعة والبراهين الصادعة لا تنهض لدركها همم أهل هذا الزمان وصادفنا المعتقدات عرية عن قواطع البرهان رأينا ان نسلك مسلكا يشتمل على الأدلة القطعية والقضايا العقلية متعليا عن رتب المعتقدات منحطا عن جلة المصنفات"[٢].

وهو في هذا الكتاب يدافع عن معتقد الأشاعرة دفاعا شديدا، سواء ضد المعتزلة أم ضد المثبتين للصفات الإلهية، وأكتفي بمثالين لذلك:

الأول: مسألة الكلام النفسي، وهو يرد على المعتزلة ويحاول إثباتها:

يقول: "قد أنكرت المعتزلة الكلام القائم بالنفس، وزعموا أن الكلام هو الأصوات المتقطعة، والحروف المنتظمة، ونصوا كلاماً قائماً بالنفس سوى العبارات الآيلة إلى الحروف والأصوات.

وربما يثبت ابن الجبائي كلام النفس، ويسميه الخواطر، ويزعم أن تلك الخواطر، ويزعم أن تلك الخواطر، يسمعها ويدركها بحاسة السمع. وذهب الجبائي إلى أن الأصوات المتقطعة على مخارج الحروف ليست بكلام، وإنما الكلام الحروف المقارنة للأصوات، وهي ليست بأصوات ولكنها تسمع إذا سمعت الأصوات.

وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس، وهو الفكر الذي يدور في الخلد،

---

(١) "الإرشاد" للجويني، ص:١٥٥

(٢) "الإرشاد" للجويني، المقدمة.

وتدل عليه العبارات تارة وما يصطلح عليه من الإشارات ونحوها أخرى.

والدليل على إثبات الكلام القائم بالنفس، أن العاقل إذا أمر عبده بأمر، وجد في نفسه اقتضاء الطاعة منه وجدانا ضروريا، ثم أنه يدل على ما يجده ببعض اللغات وبضروب من الإشارات أو برقوم تسمى الكِتْبة"[1]

والمثال الثاني: مسألة الصفات: فهو يدافع عن التأويل بطريقة المناظرة كأنه يناظر المثبتين للصفات:

يقول: فإن استدلوا بظاهر قوله: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه:٥]، فالوجه معارضتهم باي يساعدوننا على تأوليها، منها قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ** ﴾ [الحديد:٤]،وقوله تعالى:﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ [الرعد:٣٣]. فنسألهم عن معنى ذلك؛ فإن حملوه على كونه معنا بالإحاطة والعلم، لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، اذ العرب تقول استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب..."[2].

فالجويني في هذه المرحلة مولع بالتأويل يراه المخرج من التعارض بين الآيات حتى جعله من أعظم أركان الدين، يقول: "اعلموا ارشدكم الله أن من أعظم اركان الدين نفي التشبيه وقد افتتن فيه فئتان وابتلى عليه طائفتان، فغلت طائفة ونفت جملة صفات الإثبات ظنا منهم أن المصير إلى اثباتها مفض إلى التشبيه والى ذلك صار من اثبت الصانع من الفلاسفة، واليه مال بعض الباطنية فزعموا أن القديم لا يوصف بالوجود ولكن يقال انه ليس بمعدوم وكذلك لا يوصف بكونه حيا عالما قادرا بل يقال: ليس بميت ولا عاجز ولا جاهل وطردوا في جملة صفات الإثبات التي ثبتت للمحدثات أسماؤها وقالوا: لو وصفنا الرب بشيء منها مع اتصاف الحوادث بها اقتضى ذلك تشبيها. واختلف هؤلاء في وصف الرب بالقدم والإلهية وسائر الصفات التي يختص بها ولا يشاركه في أسمائها المحدثون...".

وهو يذم التفويض والإثبات للصفات، يقول: "إن رام السائل إجراء الاستواء على ما ينبيء عنه في ظاهر اللسان وهو الاستقرار فهو الالتزام للتجسيم وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على اعتقاد التجسيم وإن قطع باستحالة الاستقرار، فقد زال والذي

---

(1) "الإرشاد" للجويني، ص:(١٠٤ – ١٠٥).

(2) "الإرشاد" للجويني

دعا إليه من إجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له. وإذا أزيل الظاهر قطعاً (مميز فلا بد) بعده في حمل الآية على محمل مستقيم في العقول مستقر في موجب الشرع، والإعراض عن التأويل حذارا من مواقعه محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام واستزلال العوام وتطرق الشبهات إلى أصول الدين، وتعريض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون.." [1].

وفي النص السابق يتضح ما يلي:

(١) إيجابه للتأويل وكونه حتماً

(٢) منعه للتفويض إذ لابد من تحديد معنى للآية بما يتفق مع العقل.

(٣) تقريره أن الإعراض عن التأويل وترك الآية بدون تحديد معنى (أي التفويض) يجر إلى محاذير كثيرة في العقيدة، إذ التفويض يؤدي إلى استزلال العوام! وتطرق الشبهات إلى أصول الدين! وتعريض القرآن للظنون! على حد قول الجويني.

ومثل هذه الطريقة تبين لنا أن التأويل كان هو موقفه الصريح والواضح وأن التفويض في نظره له مخاطره على العقيدة كما سبق.

وقد أشار إلى هذا ابن تيمية بقوله: "ولأبي المعالي الجويني في تأويلها قولان أولهما في الإرشاد ورجع عن التأويل في رسالته النظامية وحرمه ونقل إجماع السلف على تحريمه وأنه ليس بواجب ولا جائز"[2] وهو يرى أن الجويني أن أول من اشتهر عنه نفيها [الصفات] أبو المعالي الجويني، فإنه نفى الصفات الخبرية، وله في تأويلها، ففي الإرشاد أولها، ثم إنه في (الرسالة النظامية) رجع عن ذلك، وحرم التأويل وبين إجماع السلف على تحريم التأويل".[3] ، وفي موضع آخر قال: "بل أبو المعالي الجويني، ونحوه ممن انتسب إلى الأشعري، ذكروا في كتبهم من الحجج العقليات النافية للصفات الخبرية ما لم يذكره ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابهما، كالقاضي أبي بكر بن الطيب وأمثاله، فإن هؤلاء متفقون على إثبات الصفات الخبرية، كالوجه واليد

---

(١) "الإرشاد" للجويني، ص: (٤١-٤٢).

(٢) "المستدرك على مجموع الفتاوى" لابن تيمية، ص:٨٥.

(٣) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية، (٢/١٧-١٨).

والاستواء".[1]

أما كتابه الشامل فقد حقق الجزء الأول منه د. هلموت كلوبفر ونشره نشرة يصفها د. بأنها غير دقيقة[2]، ثم نشره كاملا د. محمد علي النشار وبعض تلاميذه.

ويهمنا كلام د. هلموت كلوبفر عن أفكار الجويني في مقدمته الضافية لهذا الكتاب فيقول: "وبعد وفاة الأشعري بمدة نزيد على مائة عام نجح الجويني في أن يجمع حوله أتباع المذهب الأشعري ومنهم الغزالي. وقد سار الجويني في اهم افكاره على نهج (شيخه) كما سماه هو بنفسه في مؤلفاته تابعه في أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل الأشياء ومنها افعال العباد وتابعه في أن الإنسان عاجز في يد الله وامام قدرته ولا يستطيع بنفسه حتى إدراك الخير والشر ما لم يستند إلى الشريعة بدون الوحي الالهي الذي يرشد الإنسان من أول الأمر إلى طريق الرشاد ولا يستطيع العقل وحده باي حال أن يصدر حكما. والله لا يتصف بالعلم فحسب وإنما أيضا بالإرادة إذ أن كل ما يقع بسبب واحد هو ان الله يريده. وصفة الإرادة كجميع صفات الله قديمة وهكذا أيضا كلام الله ازلي والمصحف المكتوب إنما يعتبر كلام الله على سبيل المجاز فقط إذ أن الحبر والورق حادثان..."[3]

ويكفي أن أورد مثالا واحدا من معتقده في الكتاب وهو نكيره على الطائفتين النافية للصفات والمثبتة لها يقول: "فذهب بعضهم إلى التمنع من إثباتها حسما للباب، وذهب آخرون إلى إثباتها، وصاروا إلى أن إثباتها يخالف إثبات الصفات الثابتة للحوادث، إذ في إثباتها لزوم اشتراك القديم والحادث في الصفة. وليس يلزم ذلك فيما يختص به الإله من الصفات، فهؤلاء أدتهم ظنونهم في نفي التشبيه إلى التعطيل.

وغلت طائفة من المثبتين، فاقتربوا من التشبيه، واعتقدوا ما يلزمهم القول بمائلة القديم صنعه وفعله. فذهب ذاهبوا إلى أن الرب سبحانه وتعالى: جسم. ثم اختلفت مذاهب هؤلاء /فزعم بعضهم: أن معنى الجسم: الوجود، وصار آخرون إلى أن الجسم هو القائم بالنفس وقد مال إلى هذين المذهبين طائفة من الكرامية. وذهب بعض

(١) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية، (٥/٢٤٨-٢٤٩). وانظر أيضا: "جامع المسائل" لابن تيمية، (٥/٧٩).

(٢) ينظر: مقدمة د. علي سامي النشار لطبعته من الشامل.

(٣) ينظر: مقدمة د. هلموت كلوبفر لطبعته من الشامل.

المجسمة إلى وصف الرب تعالى بحقيقة أحكام الأجسام"[1].

ومع موافقة الجويني للأشعري في مجمل اعتقاده، فقد نقلت عنه أراء في هذه المرحلة تشير بأنه كان يخالفه في مسائل، مثل ما نسب إليه من إنكار لخلق أفعال العباد، إذ يقول د. جعفر السحيباني عنه: "أنكر مسألة خلق الأفعال، وأنّ الإنسان مسلوب الاختيار، وقد عرفت أنّ القول بكون أفعال العباد مخلوقة يعدّ إحدى دعائم العقيدة الأشعرية، وقد قال أبو المعالي بدور الإنسان في أعماله. ولو كان هذا مذهبه كما نسبه إليه الشهرستاني فما معنى المناظرة التي دارت بينه وبين أبي القاسم بن برهان» في مسألة أفعال العباد؟

قال القاسم: هل للعباد أعمال؟ فقال أبو المعالي: إن وجدت آية تقتضي ذا فالحجة لك، فتلا ﴿ **وَلَهُمْ أَعْمَالٌ منْ دُون ذَلكَ هُمْ لَهَا عَاملُونَ** [المؤمنون:٦٣] ومدّ بها صوته وكرر « هم لها عاملون »و قوله: ﴿ **لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إنَّهُمْ لَكَاذبُونَ** ﴾[التوبة:٤٢ أي كانوا مستطيعين. فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل. فقال: والله إنّك بارد وتتأوّل صريح كلام الله لتصحح بتأويلك كلام الأشعري وأكلّه ابن برهان بالحجة فبهت.

ولعل هذه المناظرة ونظائرها دعته إلى العدول عن نظرية الأشعري في أفعال العباد، والانسلاك في خط القائلين بالاختيار للإنسان.[2]

وهذه المسألة لم أجد من نسبها للجويني غيره، وكلامه يدل على أنه استنباط منه لا نقل، بل إن مناظرته هذه تؤكد أنه كان يدافع عن هذا القول.

وبعد هذا العرض لآرائه قبل تحوله عن عقيدة التأويل يمكنني أن أقرر أنه يظهر لي والله أعلم أن الجويني جعل الإرشاد والشامل خالصاً لآراء الأشعرية ثم ألف النظامية التي عبرت عن تحوله.

المطلب الثاني: آراؤه بعد التحول

أشرت في المبحث الأول إلى أسباب تحول العلماء من المتكلمين إلى مذهب أهل السنة، وبالنسبة لأبي المعالي فالمترجمون يذكرون قصة هي قال أبو المعالي على المنبر: كان الله ولا عرش –يريد به نفي العلو والاستواء–، فقال الهمداني: يا أستاذ

---

(1) "الإرشاد" للجويني، ص٨٠.

(2) "بحوث في الملل والنّحل" للسبحاني، (٣٢٠/٢)

دعنا من ذكر العرش – يعني لأن ذلك إنما جاء في السمع– أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارفٌ قط (يا الله) إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا؟ قالوا: فلطم الجويني على رأسه وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني، ونزل[1].

وأؤكد هنا أن القصة التي تذكر هذا السبب هي مجرد إشارة إلى السبب الظاهري للتحول، وأن هذا السبب الظاهري هو مجرد ترجمة لما كان يتلجلج في صدر أبي المعالي من تساؤلات حول مايعتقده. وقادته هذه التساؤلات إلى إعادة النظر في قناعاته بحيث بدأ يتأملها من جديد ليصل إلى بلورة علمية لمعتقد يخالف الكثير مما كان يعتقده ويدافع عنه.

وقد تكون مؤلفاته في هذه المرحلة ناطقة ببعض ما اقتنع به دون بعض على حسب ما سيأتي.

ويضم جملة ما يعتقده في هذه المرحلة كتابه الذي أسماه "النظامية في الأركان الإسلامية"، ويظهر أنه كتاب كبير في مختلف العلوم الإسلامية إلا أن الذي وصلنا منه حتى الان هو رواية الإمام أبي بكر ابن العربي الفقيه المالكي له عن شيخه ابي حامد الغزالي تلميذ الجويني، وهي نسخة تكتفي بمسائل العقيدة دون الفقه، لأن الفقه الذي فيها شافي المذهب على حد اعتذار ابن العربي[2]. يقول ال شيخ محمد زاهد الكوثري في مقدمة نشرته للنظامية: "ومن آثار هذا الإمام العظيم الخالد الذكر "النظامية في الأركان الإسلامية" كما يسميه في مقدمة كتابه هذا لاحتوائها على العقدية واحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج التي بنى عليها الإسلام. وقد افردوا قسم العقيدة عن باقي الاقسام نسخا فسموه "العقيدة النظامية" كما في الأصل المنقول من خط القاضي أبي بكر بن العربي حيث قال ناسخ الأصل في آخره قال الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه (تركت باقي الكتاب لأنه على مذهب الشافعي رضي الله عنه

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، (٤/٤٤).

(٢) ألف أبو المعالي الجويني كتابا سماه "النظامية في الأركان الإسلامية" نسبة إلى الوزير "نظام الملك"، ضمنه عقائد الإسلام وأحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم فصل أبو بكر بن العربي(٥٤٣هـ) مباحث العقيدة لهذا الكتاب عن مباحث الأحكام وجعلها في كتاب مستقل سماه "عقيدة النظامية في الأركان الإسلامية" – "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية" للجويني، ص:٣.

وكان ما ذكر منه مقداره "التلقين" لعبد الوهاب المالكي البغدادي رضي الله عنه... ثم يمضي الكوثري قائلا: وأما قسم العقيدة منه فعلق نفيس لا نظير له في بابه في جودة البيان والاحتواء على أسرار لم يدونها المؤلف في غير هذا الكتاب الذي خص به مؤلفه ذلك الوزير الخطير نظام الملك فلا يستغني عنه أهل مذهب من المذاهب لان العقيدة مشتركة بينهم"[1].

ومن أهم مباحث هذه العقيدة النظامية التي رجع فيها إمام الحرمين عن معتقده الأول مبحث التأويل إذ أنه قرر فيها خلاف ما كان يراه تماما من أهمية التأويل ووجوب المصير إليه، وذلك بعبارات صريحة لا تقبل التأويل.

- يقول فيها مبينا اختلاف مسلك الناس في ظواهر النصوص: "اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنّة، وامتنع على أهل الحقّ فحواها، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في القرآن، وما يصحّ من السنن، وذهب أئمّة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى"[2].

وهذا مشعر قوي بتحوله عن التأويل لأنه يعزو التفويض إلى السلف.

- ثم يتبع ذلك بما يؤكد مسلكه ومأخذه، وهو اختيار هذا المذهب فيقول: "والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقداً، أنّ اتّباع سلف الأُمّة حجّة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب الرسول صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها، ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام المستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها"[3].
- ويستدل لهذا المنهج باستحالة كون التاويل منهجا صحيحا البتة – بخلاف ما كان يقول به منه هو الطريق الذي لا يجوز غيره على نحو ما سبق– فيقول هنا: "فلو

---

(1) "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية" للجويني، مقدمة الكوثري.

ويلاحظ أن الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي في عرضه لمصنفات الجويني يختزل العرض لهذه العقيدة لأنها تحتوي على تركه التأويل وتنفيره منه وهذا مخالف لمعتقد الأشاعرة الذين يرى الأستاذ رأيهم. (يراجع: إمام الحرمين عبد الملك الجويني ٤١٩هـ / ٤٧٨هـ: حياته وآثاره للأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي http://www.mestaoui.com

(٢) "إعلام الموقعين" لابن القيم، ٢٤٦/٤.

(3) مجموع الفتاوي ١٠١/٥.

كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا تصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعاً بأنّه الوجه المتبع".

- ثم يدعو إلى التفويض كما كان يدعو إلى التأويل فيقول: "فحقّ على ذي الدين أن يعتقد تنزّه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب، فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿ **لمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[ص:٧٥] و﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾[الرحمن:٢٧] و﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾[القمر:١٤] وما صحّ من أخبار الرسول، كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه".

وهناك مسائل أخرى تراجع عنها في النظامية مثل: مسألة قدرة العبد، إذ ذهب في "الشامل" و"الإرشاد"[١]، أنه لا تأثير لها كما هو مذهب جمهور الأشاعرة، ثم رجع في "النظامية" إلى أن لها تأثيرا[٢].

إلا أن هذا التحول يعده العلماء والباحثون تحولا جزئيا لا كليا، فهو تحول إلى التفويض في المعنى لا في الكيف، وهو إعراض عن التأويل ولكنه ليس رجوعا كليا إلى طريقة السلف التي تقرر إثبات المعنى لا تفويضه وأما التفويض فيكون في الكيف، ورجوع الجويني في النظامية لم يكن رجوعاً كاملاً إلى مذهب السلف في جميع المسائل العقيدة وعلم الكلام، والدليل على ذلك:

١ ــ أن رجوعه بالنسبة للصفات كان إلى التفويض، وليس هذا مذهب السلف.

٢ــ أن الجويني أبقى على بعض المسائل وعرضها كما هي في مذهب الأول ومنها مسألة حدوث الأجسام، وكلام الله، ومنع حلول الحوادث التي هي مسألة الصفات الاختيارية، والرؤية بلا مقابلة، كما أنه أوّل بعض الصفات مثل المحبة أوّلها بالإرادة، وفي الإيمان ذكر أولاً أنه التصديق، ثم ذكر عند الكلام على زيادة الإيمان ونقصانه قول السلف: إنه معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وقال: " هذا غير بعيد في التسمية "، لكنه ذكر بعده القول الآخر؛ إنه التصديق، ولم يرجح بينهما"[٣].

---

(١) الشامل ص: (١٨٢)، والإرشاد ص: (٢٠٨).

(٢) انظر: النظامية ص: (٤٣-٥١).

(٣) "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" لعبد الرحمن المحمود، (١٢٢/١)

ولكن لا شك ان كتاب "النظامية" كان بداية انطلاق إلى إتقان فهم عقيدة السلف ومراجعة لمعتقد الأشعرية، وقد اجتمع المؤرخون للجويني – عدا السبكي – على أنه تبرأ في آخر حياته من عقيدة الأشعرية جملة.

فقد ذكر الذهبي في سيره أخبارا تدل على هذا المعنى بصراحة، منها ما رواه عن السمعاني عن أبي جعفر قال: "قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ثم خليت أهل الاسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم وغصت في الذي نهى أهل الاسلام كل ذلك في طلب الحق وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الاخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني"[1].

وكذلك خبر رجوعه عن علم الكلام لا ينازع فيه إلا من يتعصب للأشاعرة وعلومهم الكلامية، فقد ذكر الحافظ الذهبي أن أبا الفتح الطبري قال: "دخلت على أبي المعالي في مرضه فقال: اشهدوا على أنني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور" [2].

ولعل ذلك كان له أثر في بعض مصنفاته كالغياثي، الذي صنفه بعد "النظامية"، إذ أنه يرى فيه أن الإمام ينبغي له جمع الناس على طريقة السلف وإلزامهم بها، يقول: "والذي أذكره الآن لائقاً بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذهب السلف السابقين قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا ﷺ ينهون عن التعرض والتعمق في المشكلات والإمكان في ملابسة المعضلات والاعتناء بجمع الشبهات وتكلف الأجوبة عما لم يقع من السؤالات... إلى أن قال: وما كانوا ينكفون-رضي الله عنهم- عما تعرض له المتأخرون عن عِيٍّ وحَصْر، وتبلد في القرائح، هيهات، وقد كانوا أذكى الخلائق أذهانا وأرجحهم بياناً؛ ولكنهم استيقنوا أن اقتحام الشبهات داعية الغويات، وسبب الضلالات، فكانوا يحاذرون في حق عامة المسلمين ما هم الآن به مبتلون، وإليه مدفعون، فإن أمكن حمل العوام على ذلك فهو الأسلم[3].

([1]) "سير أعلام النبلاء" للذهبي، (٤٩١/١٨)؛ "تاريخ الإسلام"، (٧/ ٣٣٢)

([2]) "سير أعلام النبلاء" للذهبي، (٥٠٩/١١)

([3]) "غياث الأمم في التياث الظلم"، للجويني، ص: (١٩٠-١٩١)، نقلا عن د. المحمود (٤٤٢/١)، قال: وفي هذا الكتاب (ص: ١٩٣-١٩٤)، هاجم المأمون بسبب تساهله مع المعطلة، وترجمته لكتب الأوائل، وحملة المسؤولية أمام الله.

المبحث الثالث: أبو حامد الغزالي (من الفلسفة والتصوف إلى أهل السنة)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول

المطلب الثاني: مراحل تحوله وآراؤه فيها

المبحث الثالث: أبو حامد الغزالي (من الفلسفة والتصوف إلى أهل السنة)

(٤٥٠ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ – ١١١١ م)

اسمه ولقبه:

محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف.[١]

تكوينه العلمي، وشيوخه:

ولد بطوس، سنة خمسين وأربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير، ليعلمهما ويكفلهما مقابل ما تركه لهما. فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما، إلى أن فنى ما كان خلفه والدهما، وفالتحقا بمدرسة مع طلبة العلم؛ فحصل لهما قوت وعلم معا.

وأصبح أبو حامد أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه، كلمته شهد بها الموافق والمخالف، وأقر بحقيتها المعادى والمحالف.

ثم إن الغزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد على مبطليهم وإبطال دعاويهم

وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها

وكان شديد الذكاء سديد النظر عجيب الفطرة مفرط الإدراك قوي الحافظة بعيد الغور غواصا على المعاني الدقيقة جبل علم مناظرا محجاجا وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول: الغزالي بحر مغدق وإليكا أسد مخرق والخوافي نار تحرق

ثم لما مات إمام الحرمين خرلفه في مدرسته ببغداد

---

(١) "الأعلام" للزركلي، (٢١/٥).

فقدم بغداد في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودرس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة وأحبوه

وأقام على التدريس وتدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالي الرتبة مسموع الكلمة مشهور الاسم تضرب به الأمثال وتشد إليه الرحال إلى أن عزفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض ما فيها من التقدم والجاه وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام فخرج إلى الحج في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واستناب أخاه في التدريس ودخل دمشق في سنة تسع وثمانين فلبث فيها يسيرا، ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع وبها كانت إقامته. ثم فارقها وأخذ يجول في البلاد فدخل منها إلى مصر وتوجه منها إلى الإسكندرية فأقام بها مدة ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتكلم على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الإحياء ومن أشهر وأهم من تلقى عليهم علم أصول الفقه وعلم الكلام شيخه أبو المعالي الجويني إمام الحرمين ولازمه فترة ينهل من علمه ويأخذ عنه حتى برع في الفقه وأصوله، وأصول الدين والمنطق والفلسفة وصار على علم واسع بالخلاف والجدل. وكان الجويني لا يخفي إعجابه به، بل كان دائم الثناء عليه والمفاخرة به حتى إنه وصفه بأنه "بحر مغرق"، قال ابن النجار: "بلغني أن أبا المعالي الجويني كان يصف تلامذته يقول الغزالي بحر مغرق، إلكيا أسد مخرق، والخوافي نار تحرق"[1].

وفاته:

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة[2]

تلامذته: من أشهر تلامذته أبو بكر بن العربي وأبو المعالي عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن الهمذاني الميانجي[3].

([1]) "تاريخ الإسلام" للذهبي (٦٢/١١)

([2]) "طبقات الشافعية" للسبكي، (١٩١/٦).

([3]) لأعلام للزركلي (٤ / ١٢٣).

مصنفاته:

له نحو مئتى مصنف. منها "إحياء علوم الدين "، و "تهافت الفلاسفة " و "الاقتصاد في الاعتقاد " و "محك النظر " و "معارج القدس في أحوال النفس "، و "مقاصد الفلاسفة " و "المضنون به على غير أهله " وفي نسبته إليه كلام، و "الوقف والابتداء " في التفسير، و "البسيط " في الفقه، و "المنقذ من الضلال " و "بداية الهداية"، و "فضائح الباطنية "، ويعرف بالمستظهري، وبفضائح المعتزلة. و "التبر المسبوك في نصيحة الملوك " كتبه بالفارسية، وترجم إلى العربية، و "منهاج العابدين " قيل: هو آخر تآليفه، و "إلجام العوام عن علم الكلام "، و "شفاء العليل – خ" في أصول الفقه، و "المستصفى من علم الأصول – ط"، و "المنخول من علم الأصول – خ" و "الوجيز – ط" في فروع الشافعية، و "ياقوت التأويل في تفسير التنزيل" كبير، قيل: في نحو أربعين مجلدا [1].

ويعد أبو حامد الغزالي من أشهر الأعلام في الفقه والأصول والتصوف والفكر الإسلامي بعامة. فقد جمع الإمام الغزالي بين الريادة الفلسفية والموسوعية الفقهية والنزعة الصوفية الروحية، اتسم بالذكاء وسعة الأفق وقوة الحجة وإعمال العقل وشدة التبصر، مع شجاعة الرأي وحضور الذهن، كل ذلك أهّله ليكون رائدا في تلك العلوم المختلفة والفنون المتباينة؛ فكان الغزالي فيلسوفا وفقيها وصوفيا وأصوليا، يحكمه في كل تلك العلوم إطار محكم من العلم الوافر والعقل الناضج والبصيرة الواعية والفكر الراشد، فصارت له الريادة فيها جميعا، وأصبح واحدا من أعلام العرب الموسوعيين المعدودين.

وقد جمع الإمام الغزالي بين الريادة الفلسفية والموسوعية الفقهية والنزعة الصوفية الروحية، اتسم بالذكاء وسعة الأفق وقوة الحجة وإعمال العقل وشدة التبصر، مع شجاعة الرأي وحضور الذهن، كل ذلك أهّله ليكون رائدا في تلك العلوم المختلفة والفنون المتباينة؛ فكان الغزالي فيلسوفا وفقيها وصوفيا وأصوليا، يحكمه في كل تلك العلوم إطار محكم من العلم الوافر والعقل الناضج والبصيرة الواعية والفكر الراشد، فصارت له الريادة فيها جميعا، وأصبح واحدا من أعلام العرب الموسوعيين المعدودين.

([1]) "الأعلام" للزركلي، (٧/٢١-٢٣)

والمتتبع لترجمته وحياته يتحقق من أنه مر بمراحل حتى وصل إلى طريقة أهل السنة واقتنع بها، فقد كان على طريقة الفلاسفة، ثم تحول إلى التصوف ومكث في هذا الطريق حتى اخريات حياته، ثم انتهى إلى الاهتداء لطريق السلف.

ولذا يتعين أن أدرسه في هذين المطلبين:

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول:

تميزت هذه المرحلة باهتمامه بآراء الفلاسفة، ويلخص المازري هذه الفترة بقوله: "هو بالفقه أعرف منه بأصوله، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين، فإنه صنف فيه أيضاً، وليس بالمستبحر فيها، ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره، وذلك لأنه قرأ علوم الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول، فأكسبته قراءة الفلسفة جرأة على المعاني، وتسهلاً للهجوم على الحقائق، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها، وليس لها حكم شرع يزعها، ولا يخاف من مخالفة أئمة تتعبها. وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفاء، وهي إحدى وخمسون رسالة، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والنقل، فخرج ما بين العلمين، وذكر الفلسفة، وحسنها في قلوب أهل الشرع بآيات يتلو عندها، وأحاديث يذكرها"[1].

ويجعله الدكتور "خالد كبير علال" مؤثرا في توجه العلماء المسلمين الى المنطق، فـ "بتأثير منه –أي الغزالي– أقبل كثير من أهل العلم على المنطق الصوري وتنافسوا فيه، وقد أحصيت لهم أكثر من ثلاثين كتابا صنفوه في المنطق[2]. ولاشك أن ما فعله هؤلاء هو خدمة كبيرة للفلسفة اليونانية، وانتصار كبير لها في تغلغلها بين أهل العلم المسلمين، و في تأثيرها على الفكر الإسلامي و غزوه"[3].

وقال عنه تلميذه أبو بكر بن العربي المالكي المغربي: ((شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع))[4]،وفي رواية أخرى ((دخل أجوافهم فلم يخرج منها))[1].

([1]) "تاريخ الإسلام" للذهبي، (٦٢/١١).

([2]) انظر مثلا: حاجي خليفة: المصدر السابق، ج:١ ص: ٥٧١، ٦٧١، ٦٠٢، ٦٧٢، ٧٥٩، ٨٩٣، ٩٨٥، ج٢: ص: ١٠٥٥، ١١٥١، ١١٨٢، ١٤٨٩، ٥٢٣، ١٦١٢، ١٦٤٢.

([3]) "مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي"، ص:١٦.

(٤) حاشية السندي على النسائي – (ج ٣ / ص ١٤٢)

وقد بلغت المؤثرات الفلسفية في آراء الغزالي إلى أنه يرد حديثا من أجل انه يخالف قول الفلاسفة، يقول: "قال أبو حامد الغزالي هذه الزيادة غير صحيحة نقلا فيجب تكذيب ناقلها وبنى ذلك على ان قول الفلاسفة في باب الخسوف والكسوف حق لما قام عليه من البراهين القطعية وهو أن خسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوئه بتوسط الأرض بينه وبين الشمس من حيث أنه يقتبس نوره من الشمس والأرض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب فإذا وقع القمر في ظل الأرض انقطع عنه نور الشمس وأن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر والشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة".

ويعد كتاب مقاصد الفلاسفة من مؤلفاته التي تبين معرفته بالفلسفة، وقد جعله بمنزلة المقدمة للرد عليهم بتهافت الفلاسفة، يقول: "فإن الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها محال بل هو رمي في العماية والضلال فرأيت أن أقدم على أن بيان تهافتهم كلاما وجيزا مشتملا على حكاية مقاصدهم من علومهم المنطقية والطبيعية والالهية من غير تمييز بين الحق منها والباطل بل لا أقصد ألا تفهيم غاية كلامهم من غير تطويل بذكر ما يجري مجرى الحشو والزوائد الخارجة عن المقاصد وأورده على سبيل الاقتصاص والحكاية مقرونا بما اعتقدوه أدلة لهم ومقصود الكتاب حكاية "مقاصد الفلاسفة" وهو اسمه وأعرّفك أولا أن علومهم أربعة أقسام الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات"[٢].

ثم شرع يبين مقاصدهم في كل من هذه العلوم.

ولا شك أن هذه الفترة كانت مئنة لدخوله في أخطاء كثيرة حتى قال الذهبي: "قلت: للغزالي غلط كثير وتناقض في تواليفه ودخول في الفلسفة وشكوك، ومن تأمل كتبه العقلية رأى العجائب. وكان مزجي البضاعة من الآثار على سعة علومه وجلالة قدره وعظمته"[٣].

---

(١) "سير أعلام النبلاء" لابن حجر العسقلاني، (٣٢٨/١٩)؛ "البداية والنهاية" لابن كثير، (٢٢٩/١٢).

(٢) "مقاصد الفلاسفة" للغزالي، ص:(٢-٣) في المنطق والحكمة الإلهية والحكمة الطبيعية ط١م/ مطبعة السعادة/مصر.

(٣) "تاريخ الإسلام" للذهبي، (٣٥٤٠/١).

المطلب الثاني: آراؤه بعد التحول

يروي لنا الغزالي تحوله عن الفلسفة إلى التصوف في كتابه "المنقذ من الضلال"، فيبدأ كتابه بقوله: " فقد سألتني أيها الأخ في الدين، أن أبثّ إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد، إلى يفَاعِ الاستبصار، وما استفدته أولاً من علم الكلام، وما اجتَوْيتُه ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لَدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخراً من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد، مع كثرة الطلبة، وما دعاني إلى معاودتي نيسابور بعد طول المدة، فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك، بعد الوقوف على صدق رغبتك، وقلت مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه، ومستوثقاً منه، وملتجئاً إليه"[1].

أما علم الكلام فوجده كما يعبر هو بقوله " ثم إني ابتدأت بعلم الكلام، فحصَّلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علماً وافياً بمقصوده، غير وافٍ بمقصودي؛ وإنما المقصود حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة. فقد ألقى الله (تعالى) إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق، على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها. فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة، على خلاف السنة المأثورة؛ فمنه نشأ علم الكلام وأهله. ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله (تعالى) إليه، فأحسنوا الذب عن السنة، والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة، والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة؛ ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم، واضطرهم إلى تسليمها: إما التقليد، أو إجماع الأمة، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار. وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم. وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً، فلم يكن الكلام في حقي كافياً، ولا لدائي

([1]) "المنقذ من الضلال" للغزالي، ص: (١٠٧-١٠٨)

الذي كنت أشكوه شافياً. نعم، لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذبّ (عن السنة) بالبحث عن حقائق الأمور، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها. ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق؛ ولا أبعدُ أن يكون قد حصل ذلك لغيري! بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات!"[1].

وأما الفلسفة فقد دخل فيها لسبب ذكره بقوله: " ثم إني ابتدأت، بعد الفراغ من علم الكلام، بعلم الفلسفة وعلمت يقيناً، أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وغائله، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقّاً. ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك".

ثم قسم الفلاسفة إلى ثلاثة انواع كلهم كفار، " الصنف الأول: الدهريون.....وهؤلاء هم الزنادقة.

والصنف الثاني: الطبيعيون: وهؤلاء أيضاً زنادقة لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر. وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته.

والصنف الثالث: الإلهيون.... رد أرسطا طاليس على أفلاطون وسقراط، ومن كان قبلهم من الإلهيين، ردّاً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم؛ إلا أنه استبقى أيضاً من رذائل [رذاذ] كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنه [للنزع منها]، فوجب تكفيرهم، وتكفير شيعتهم [متبعيهم] من المتفلسفة الإسلاميين، كابن سينا[2] والفارابي[3] وغيرهم[4].

---

(1) "المنقذ من الضلال" للغزالي، ص: (١٢١-١٢٥)

[2] هو أبو الحسين علي ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨ هـ) (فارسي الأصل) الطبيب والفليسوف، صاحب كتاب (القانون في الطب) وكتاب (الشفا) وكتاب (النجاة) في الفلسفة.

[3] أبو نصر الفارابي (٢٦٠-٣٣٩هـ) الفليسوف (تركي الأصل) المشهور صاحب كتاب الموسيقى الكبير وكتب في الفلسفة. زعم أبن سينا أنه لم يفهم ارسطو حتى قرأ شرحه الذي ألفه الفارابي. لم يشتهر في عصره، ولكنه اشتهر بعد ابن سينا.

(٤) "المنقذ من الضلال" للغزالي، ص:١٥ - ١٦.

ثم يذكر توجهه للتصوف بعد ذلك: " ثم إني، لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل؛ وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس. والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل (بها) إلى تخلية القلب عن غير الله (تعالى) وتحليته بذكر الله"[1].

ويرى أن معظم خواص النبوة "إنما يدرك بالذوق، من سلوك طريق التصوف؛ لأن هذا إنما فهمته بأنموذج رزقته وهو النوم، ولولاه لما صدقت به. فإن كان للنبي خاصة ليس لك منها أنموذج، ولا تفهمها أصلاً، فكيف تصدق بها؟ وإنما التصديق بعد الفهم: وذلك الأنموذج يحصل في أوائل طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس (إليه). فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للإيمان بأصل النبوة"[2].

هذا هو ملخص طريقه من الفلسفة إلى التصوف، والذي يقول فيه أحد الدارسين " تحول الغزالي من الفلسفة إلى التصوف بعد أن استقر في وعيه ووجدانه أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى، خاصة أن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق.

لقد كان هذا بعد معاناة كبيرة في الفكر والتأمل، وقد سجل ذلك بشكل مفصل في كتابه القيم "المنقذ من الضلال"، ولكنه خرج من تلك التجربة بجرعة كبيرة من الشك جعلته يشك في كل شيء حتى مهنة التدريس التي أعطاها حياته كلها، وحقق من خلالها ما بلغه من المجد والشهرة والجاه، فلم تعد لديه الرغبة في أي شيء من ذلك.

فكتاب المنقذ من الضلال عند بعض الدارسين "المتسم بالصغر في الحجم، والكبير في المضمون" يعد "من أهم الآثار القيمة التي حبرها الإمام الغزالي في مسيرته العلمية. فله أهمية خاصة في التعرف على خلاصة قواعد البحث العلمي التي توصل إليها أبو حامد الغزالي أثناء رحلته المعرفية في الوصول إلى الحقيقة العلمية اليقينية"[3].

---

(1) "المنقذ من الضلال" للغزالي، ص:١٧٠.

(2) "المنقذ من الضلال" للغزالي، ص:١٨٥.

(3) "المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال للإمام أبي حامد محمد الغزالي" للباحث: العربي الرباحي – مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية – http://www.achaari.ma/Article.aspx?C=٥٨١١)،

ولست بصدد نقد هذا الطريق لأنه لا يدخل في موضوعنا، وإنما نتلمس خطواته في طريقه من الفلسفة إلى أهل السنة، التي يعد تحوله من الفلسفة إلى التصوف أول مراحلها وأكثرها نتاجا علميا، فقد ألف في هذه المرحلة موسوعته العلمية التربوية "إحياء علوم الدين" وهو من أهم كتبه. وهو أشهر من أن يعرف به فقد اهتم بكتبه المشارقة والمغاربة، والمسلمون وغيرهم ما بين مترجم ومعرف ومختصر وشارح ومثن وناقد.

كما صنف كتابه "قواعد العقائد" وضمنه عشرين قاعدة تشمل المعتقد الأشعري ابتداء من خلق العالم والكلام عن واجب الوجود حتى إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وهو في هذا الكتاب أشعري لم يخرج عن منهج أبي الحسن والجويني، كما يقول د. جعفر السحابي: "والغزالي مع ما أُوتي من مواهب كبيرة في الفلسفة والكلام والتصوف وغير ذلك، غير أنّه يقتفي أثر إمامه الأشعري ويلتقي معه في كثير من الآراء والمباني، وإليك قسماً من آرائه في كتاب قواعد العقائد"[1]. وعدد السحباني جملة من العقائد في هذا الكتاب مقارنا إياها بآراء الأشعري والجويني فلم تخرج عنها.

والحق أن تصوف الغزالي كان مشوبا بالتفلسف على رغم تبرؤه منه، مع أمور تنكر، قال أبو بكر الطرطوشي: "شحن الغزالي كتابه الإحياء بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتاباً على بسطة الأرض أكثر كذباً على رسول الله منه. ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفاء وهم قوم يرون النبوة اكتساباً. فليس نبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل، تخلق بمحاسن الأخلاق، وجانب سفاسفها، وساس نفسه، حتى ملك قيادها، فلا تغلبه شهواته، ولا يقهره سوء أخلاقه، ثم ساس الخلق بتلك الأخلاق. وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق"[2].

فالغزالي " بعد انتقاله من علم الكلام لم يشف من حيرته وشكه، بل زاد مرض الشطح الصوفي... وقد ألف أبو حامد الغزالي في الرد عليهم وتنفير الناس من علم الكلام كتابه "إلجام العوام عن علم الكلام" و"فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة" ومن يقرأ هذين الكتابين يجد اقتراب الغزالي من مذهب السلف وابتعاد عن مذاهب

(1) "بحوث في الملل والنّحل" للسحباني، (٣٢٧/٢).

(2) "تاريخ الإسلام" للذهبي، (١١ /٦٢).

المتكلمين"[1].

ولذا لم تكن هذه المرحلة هي نهاية المطاف في حياة الغزالي، على الرغم من انها أكبر مراحل حياته العلمية والفكرية واثراها، لكن في أخريات حياته تغيرت نظرته إلى العلم والفكر، ويبدو أنه وجد التصوف لا يشفي غلة لمن يريد وجه الحق وحده، ويعلم أنه ملاق ربه بمعتقد إما صحيح أو خاطئ، ولذلك روي أنه في أخريات حياته توجه شطر السنة وعلوم الحديث ومذاكرتها، فـ"روي أنه أقبل في أواخر عمره على الأحاديث الصحاح، فاتخذ لنفسه معلمين يحفظ عليهما الصحيحين، وكان يسمع في آخر حياته صحيح البخاري من أبي سهل محمد عبدالله الحفصي، وسنن أبي داود من القاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي"[2]. ويحكي تلميذه – عبد الغافر الفارسي– آخر مراحل حياته قائلاً: "وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين اللذين هما حجة الإسلام ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام.

قال ابن كثير: "ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها، وابتنى رباطاً، واتخذ داراً حسناً، وغرس فيها بستاناً أنيقاً، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحيحة... ويقال إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفيظ للصحيحين"[3].

إلا أن هذه المرحلة لم يكن لها أثر يذكر في مصنفاته لأنه لم يعش بعدها طولا ليصنف أو يعدل. وبحسبه أن الله ختم حياته – نحسب – على أحسن الأحوال، وهي حال الالتزام بطريق السلف والبراءة من فتن اهل الاهواء بشتى مذاهبهم. قال شيخ الإسلام:

" وأبو حامد تارة يثبت الصفات العقلية متابعة للأشعري وأصحابه وتارة ينفيها أو يردها إلى العلم موافقة للمتفلسفة وتارة يقف وهو آخر أحواله ثم يعتصم بالسنة ويشتغل بالحديث وعلى ذلك مات"[4].

---

(1) "منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل" لجابر إدريس علي أمير، ص: ٩٦٢.

(2) انظر: "طبقات الشافعية" للسبكي، (١١٠/٤).

(3) "البداية والنهاية" لابن كثير، (١٧٤/١٢).

(4) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية، (٢٤/٣).

المبحث الرابع: الفخر الرازي (من الفلسفة والإلحاد إلى أهل السنة)

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول

المطلب الثاني: مراحل تحوله وآراؤه فيها

المبحث الرابع: الفخر الرازي (من الفلسفة والإلحاد إلى أهل السنة)

(٥٤٤ – ٦٠٦ هـ / ١١٥٠ – ١٢١٠ م)

اسمه ولقبه:

محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي العلامة سلطان المتكلمين في زمانه فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل ثم الرازي ابن خطيبها الشافعي المفسر المتكلم، صاحب المصنفات المشهورة والفضائل الغزيرة المذكورة.

تكوينه العلمي، وشيوخه:

اشتغل أولا على والده الإمام ضياء الدين عمرو، وهو من تلامذة محيي السنة البغوي، ثم لما مات والده قصد الكمال السمناني، فاشتغل عليه مدة، ثم عاد إلى الري، فاشتغل على المجد الحنبلي صاحب محمد بن يحيى الفقيه أحد تلامذة الغزالي، وأتقن علوما كثيرة، وبرز فيها، وتقدم وساد، وقصده الطلبة من سائر البلاد. وكان له مجلس كبير للوعظ، وكان يتكلم كلامًا جيدًا، وله تمكن من الوعظ باللسانين العربي، والتركي، وكان يحضره الناس على اختلاف أصنافهم، ومذاهبهم ويجيء إلى مجلسه الأمراء والأكابر والملوك، ويحصل له مكان مجلسه رقة، ويظهر خشوعًا.

مصنفاته:

صنف في فنون كثيرة، فمن ذلك: تفسيره المشهور، وله تفسير الفاتحة في مجلد مفرد، وله شرح الأسماء الحسنى، وله مناقب الشافعي الذي فيه من الحكايات الغرائب، وقد شرح الوجيز أو أكثره، وله شرح سقط الزند، وشرح المفصل والمحصول في أصول الفقه والمنتخب، وله الأربعون في علم الكلام، ونهاية العقول والمطالب العالية، وتأسيس التقديس، وكتاب الملخص، وشرح الإشارات في الأصول وغير ذلك من المصنفات المبتدعة، ومنها ما ذكره القاضي شمس الدين ابن خلكان، وهو كتاب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم، وقد قيل: إنه إنما صنفه لأم الملك خوارزم، وأنها

أعطته على ذلك جعلا، فعمله صناعة لتمكنه في العلوم، ومنهم من أنكر أن يكون من مصنفاته، والله أعلم.

وفاته: كانت وفاته بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وست مائة.[1]

وقد كان الرازي صاحب عقل وذكاء وتقلب في الأفكار من فلسفة إلى كلام إلى صوفية فلسفية ثم اهتدى في أخرياته إلى ترك هذا كله والتسليم لطريق السلف

المطلب الأول: آراؤه قبل التحول

إن حياة الرازي العلمية والفكرية تجعلنا لا نتبين خطا واحدا في أي مرحلة من مراحلها، وسبب ذلك أنه استطاع أن يمزج المعارف المختلفة بعضها ببعض، فخلط الكلام بالفلسفة، وخلط الفلسفة بالتصوف، وخلط ذلك كله بالتفسير، يقرر ذلك ابن خلدون في مقدمته يقول: "ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بموضوع الالهيات ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والالهيات وخلطوهما فنا واحدا قدموا الكلام في الامور العامة ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها إلى اخر العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كأن الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد"[2] وأورد هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "الذين لبسوا الكلام بالفلسفة من أكابر المتكلمين تجدهم يعدون من الأسرار المصونة يظن أنه يقع فيه هؤلاء"[3].

وأما تفسيره فيراه ابن تيمية قد جمع كل شيء إلا التفسير، كما ذكر الصَّفَدِي في كتابه "الوافي بالوفيات"[4]، ويفسر ذلك الشيخ محمد حسين الذهبي حيث يصف تفسيره إجمالا: " وبالجملة.. فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، إذ أن هذه الناحية، هي التي غلبت عليه حتى كادت تُقَلِّ من أهمية الكتاب

---

(1) "طبقات الشافعيين" لابن كثير، ص:٧٧٨.

(2) "ديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون، (١ /٦٥٣)؛ وراجع أيضا: "الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته" لـ د. طه جابر العلواني، ص ٩٠.

(3) "مجموع الفتاوى" لابن تيمية، (٤/٦٢-٦٣).

(4) "الوافي بالوفيات" للصفدي (١٧٩/٤).

كتفسير للقرآن الكريم"[١]. ويعزو وجود الآراء الفلسفية في تفسير النيسابوري إلى نقله من الرازي فيقول: "وهذا المسلك الذي سلكه النيسابوري في الكونيات والآراء الفلسفية. ليس هو في الواقع إلا صدى لما جاء في تفسير الفخر الرازي الذي لخَّص منه تفسيره"[٢]، وهذا هو عين ملاحظة الزرقاني الذي يرى أنه "سلك في تفسيره مفاتيح الغيب مسلك الحكماء الإلهيين فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية ولكن مع تهذيبها بما يوافق أصول أهل السنة وكذلك تعرض لشبههم بالنقض والتفنيد في كثير من المواضع، كما أنه سلك طريقة الطبيعيين في الكونيات فتكلم في الأفلاك والأبراج وفي السماء والأرض وفي الحيوان والنبات وفي أجزاء الإنسان وغير ذلك"[٣].

ولكن يمكن أن نتبين في هذا الخضم الذي تميزت به هذه المرحلة نمطا من الفكر وهو الفكر الفلسفي، إذ تبنى الرازي فيه مقولات الفلاسفة حتى وصل به الحد إلى الإلحاد في بعض كتبه وعباراته. فأما تبنيه لآراء الفلاسفة فهو واضح عند كل من ترجموا له، ومن هذه الآراء:

- القول بمعاد البدن فقط دون الروح: قال ابن تيمية: "وهذا قول كثير من أهل الكلام من الجهمية والقدرية ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم فبنوا ذلك على أنه ليس فينا روح تبقى بعد فارق البدن بل ظنوا أن الروح عرض يقوم بالبدن كالحياة أو جزء من أجزاء البدن كالنفس الخارج والداخل فأنكروا أن تكون الأرواح المفارقة للأبدان منعمة أو معذبة ثم من أثبت من هؤلاء عذاب القبر كالأشعرية وبعض المعتزلة قال إنه تخلق حياة في جزء من أجزاء البدن فينعم أو يعذب وإنكار بقاء النفس بعد الموت"[٤].
- تقديم العقل مطلقا حتى حين تعارضه مع الأدلة السمعية: ""إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يُجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعاً، وإما أن يقدم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل

(١) "التفسير والمفسرون" للذهبي (٢١٠/١).
(٢) "التفسير والمفسرون" للذهبي (٢٣٢/١).
(٣) "مناهل العرفان" للزرقاني، (٢/ ٩٧).
(٤) "الصفدية" لابن تيمية، (٢/ ٢٦٨).

فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل. ثم النقل إما أن يُتأول وإما أن يفوض وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما". قال شيخ الإسلام معقبا على هذا: "وهذا الكلام قد جعله الرازي وأتباعه قانونا كليا فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام وما لا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين وقد بسطنا الكلام على قولهم هذا في الأدلة السمعية في غير هذا الموضع"[1].

وهذه الفترة هي التي صنف فيها كتبه الفلسفية الخالصة، فقد عدها د. عصام الزفتاوي من اوائل مصنفاته التي لا يشوبها شيء كثير من علوم أخرى، يقول: " ويمكن من خلال استعراض مؤلفات الرازي من خلال نسق زماني تقسيمها إلى أربع مجموعات:

أولها – كتب فلسفية ليس فيها من علم الكلام إلا أقوال قليلة متناثرة كالمباحث المشرقية، والملخص فى الحكمة والمنطق، وشرح الإشارات والتنبيهات، وشرح عيون الحكمة"[2].

وذكر الذهبي كتابا له في "الميزان" حيث قال: "إن له كتاب أسرار النجوم، سحر صريح. وعليه رد للشيخ زين الدين سريج بن محمد الملطي المتوفى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وسماه "انقضاض البازي في انفضاض الرازي"[3]، قال ابن خلدون: "وذكر لنا أن الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك وسماه بالسر المكتوم وأنه بالمشرق يتداوله أهله ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من أئمة هذا الشان فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك"[4]، وهذا يدل على شكه فيه أيضا.

---

(1) "درء تعارض العقل والنقل" لابن تيمية، (٧/١).

(٢) منهج التصنيف الكلامى عند الأشعرية. عصام الزفتاوي – موقعه الشخصي على الشبكة: (ttps://sites.google.com/site/esamanas/home

(3) "لسان الميزان" لابن حجر العسقلاني، (٤٢٦/٤).

(4) "ديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون، (٦٦٠/١).

وقد ذكره ابن تيمية مبهما اسمه قال: "وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم على مذهب المشركين من الهند والصابئين والمشركين من العرب وغيرهم"(١).

لكنه عاد في الصفدية فأظهر قال: "وغيرهم ممن صنف في هذا الباب وأبو عبد الله محمد بن الخطيب قد ذكر في كتابه الذي سماه السر المكتوم في السحر والطلسمات ومخاطبة النجوم في ذلك أمورا كثيرة"(٢).

المطلب الثاني: مراحل تحوله وآراؤه فيها

وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة تركه للفلسفة وانشغاله بنصرة المذهب الأشعري مع شوب فلسفة في استدلالاته:

وقد كان أهم خصائص معالجته لعلم الكلام في هذه المرحلة هو "تطور الاتجاه النقدي لديه، والذي أثّر بوضوح على منهجه الفكري عامة، وعلى منهجه في التصنيف الفلسفي والكلامي خاصة، فلا يقوم منهج الرازي الكلامي على محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين، رغم أن الشائع أنه قام بدور رئيسي في خلط الفلسفة بعلم الكلام، فقد استوعب الرازي أول الأمر الفلسفة المشائية الإسلامية، ثم كان أول من أدخل هذه الفلسفة في علم الكلام، فأعطى اتجاها جديدا له.(٣)

ولكن هذا الاتجاه الجديد لا يرضي أهل العلم بطريقة السلف في المباحثة، فقد انتقده شيخ الإسلام بشدة ولخص أهم معايبه في مصنفاته، بل جعله أدنى من طريقة المعتزلة في بيان التوحيد، فالمعتزلة "مقصرون في هذا الباب فإنهم لم يوفوا توحيد الربوبية حقه فكيف بتوحيد الإلهية، ومع هذا فأئمة المعتزلة وشيوخهم وأئمة الأشعرية والكرامية ونحوهم خير في تقرير توحيد الربوبية من متفلسفة الأشعرية كالرازي والآمدي وأمثال هؤلاء فإن هؤلاء خلطوا ذلك بتوحيد الفلاسفة كابن سينا وأمثاله وهو أبعد الكلام عن التحقيق في التوحيد وإن كان خيرا من كلام قدمائهم أرسطو وذويه"(٤).

---

(١) "اقتضاء الصراط" لابن تيمية، (٣٠١/٢).

(٢) "الصفدية" لابن تيمية، (١٧٢/١).

(٣) "فخر الدين الرازي" لـ د. فتح الله خليف.

(٤) "منهاج السنة النبوية" لابن تيمية (٢٩٥/٣).

وهو في هذه الفترة يناهض الفلسفة ويعارضها، فهو يروي هذه الصبغة لطريقته في هذه المرحلة بقوله: "... وكنا نحن في ابتداء اشتغالنا بتحصيل علم الكلام تشوقنا إلى معرفة كتبهم نرد عليهم، فصرفنا شطرا صالحا من العمر في ذلك، حتى وفقنا الله تعالى في تصنيف كتب تتضمن الرد عليهم ككتاب نهاية العقول وكتاب المباحث المشرقية وكتاب الملخص وكتاب شرح الإشارات... وهذه الكتب بأسرها تتضمن شرح أصول الدين وإبطال شبهات الفلاسفة وسائر المخالفين، وقد اعترف الموافقون والمخالفون أنه لم يصنف أحد من المتقدمين والمتأخرين مثل هذه المصنفات... "[1]..

وأورد مثالا واحدا على ذلك وهو نقده لكتاب "عيون الحكمة" لابن سينا يقول في مقدمة شرحه له: "... إني مخالف لمقتضى هذا الكتاب في دقيقه وجليله وجملة تفصيله، ... وأن هذا الكتاب... غير مبنى على المنهج القويم..."[2]

كما أنه تختفي فيه كثير من الآراء التي تابع فيها الفلاسفة، كالمثال الذي ذكرته آنفا، وهو تقديم العقل مطلقا حتى إذا تعارض مع النقل. فأصبح منهجه الكلامي يقوم " على دعم المنهجية الخبرية (القائمة على كل ما أخبر الله عن وجوده أو عدمه)، وتجعل واجب الوجود هو البرهان على الكل، وليس شيء غيره يكون برهانا عليه، فهو يؤثر طريقة النزول من الخالق إلى المخلوق انطلاقا من تسليمه بأن الإقرار بوجود الصانع كالأمر الضروري اللازم لجبلة كل عاقل"[3].

ولكنه منهج ينصر فيه الأشعرية في آرائهم مثل:

- إخراج الحروف عن مسمى الكلام: وجعل دلالة لفظ الكلام عليها مجاز، فقال الرازي: إن اسم الكلام يقال بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس وعلى الحروف الدالة عليه وهذا الذي قالوه أفسدوا به أصل دليلهم على المعتزلة فإنه إذا صح أن ما قام بغير الله يكون كلاما له حقيقة بطلت حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الكلام إذا قام بمحل عاد حكمه عليه وجاز حينئذ أن يقال إن الكلام مخلوق خلقه في غيره وهو كلامه حقيقة

---

(1) "فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية" لـ د. محمد صالح الزركان، ص: (٦٢٢ – ٦٢٣).

(٢) "(٤٠/١)؛ انظر: "فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية" لـ د. محمد صالح الزركان، ص: (٦٢١ -٦٢٢).

(٣) "المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي" لـ د.محمد العربيى، ص: ٦ نقلا عن عصام الزفتاوي – مصدر سابق).

ولزمهم من الشناعة ما لزم المعتزلة حيث ألزمهم السلف والأئمة أن تكون الشجرة هي القائلة لموسى: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا)[١].

- أن الله تعالى ليس في السماء ولا فوق العرش: ولذلك جابهه شيخ الإسلام بقوله: "اذا كان كذلك فليعلم أن الرازي ونحوه من الجاحدين لأن يكون الله نفسه فوق العالم هم مخالفون لجميع سلف الأمة وأئمتها الذين لهم في الأمة لسان صدق ومخالفون لعامة من يثبت الصفات من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية والمتكلمين مثل الكرامية والكلابية والأشعرية الذين هم الأشعري وأئمة أصحابه ولكن الذين يوافقونه على ذلك هم المعتزلة والمتفلسفة المنكرون للصفات وطائفة من الأشعرية وهم في المتأخرين منهم أكثر منهم في المتقدمين وكذلك من اتبع هؤلاء من الفقهاء والصوفية وطائفة من أهل الحديث"[٢].

وهكذا يمكن القول بأن الرازي: "قد مر بمراحل متعاقبة، فقد كان في مبدأ أمره متكلما، ثم تفلسف، ثم توقف، ثم عاد إلى علم الكلام مع رواسب فلسفية، ثم نزع في أخريات أيامه إلى الإعراض عن الفلسفة وعلم الكلام جميعا والاتجاه إلى التمسك بطريقة القرآن الكريم"[٣]

وهذه المرحلة الأخيرة هي آخر مراحله، وهي التي سأتناولها بإيجاز، لأنها كانت في آخر حياته، فإن مترجمي الرازي يتفقون على أنه قرر ترك علم الكلام كله وندم عليه ورام العقيدة الصافية من كل شائبة، قال ابن كثير: "وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه"[٤].

---

(١) انظر: "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية، (٦/٦٢٥).

(٢) "بيان تلبيس الجهمية" لابن تيمية، (٣/٤٢٤).

(٣) ذهب إلى ذلك الأستاذ الدكتور محمود قاسم فيما نقله عنه د.محمد صالح الزركان، موجها نظره – حيث كان مشرفا عليه – إلى اختلاف آراء الرازي فى المسائل الفلسفية والكلامية إنما هو ناتج عن التطور وليس عن التعارض والتناقض، ثم قدم د.الزركان براهينه على القول بتطور الموقف الفلسفي والكلامي عند الرازي ص: (٦١٨-٦٢٦).

(٤) "البداية والنهاية" لابن كثير، (٧/٦٨).

وندمه على الاشتغال بعلم الكلام ثابت ومؤكد، قرره أكثر مؤرخيه، وأنه لم يقل ذلك فقط في أثناء احتضاره ولا هو مجرد وصية كتبها، وإنما هو قرار اتخذه وهو يمشي على الأرض، ومن أدلة ذلك نقل الإمام الذهبي في تاريخه أنه "وعظ مرة عند السلطان شهاب الدين فقال: يا سمع الفخر الرازي يقول: ليتني لم أشتغل بالكلام وبكى. وقيل: إن الفخر الرازي وعظ مرة عند السلطان شهاب الدين فقال: يا سلطان العالم لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي يبقى وأن مردنا إلى الله " فأبكى السلطان[1].

ولا شك أن هذا الأمر كان يتلجلج في صدره فترة من الزمان، فقد قال الإمام نجم الدين الواسطي: "أنشدني شرف الدين الدمياطي، قال أنشدني تاج الدين الآمدي، مؤلف "الحاصل"، قال أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ودبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالوا

وكم من رجال قد رأينا ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فماتوا والجبال جبال

وهذا دليل على ان هذه المعاني كانت تدور برأسه وتتلجلج في صدره طويلا.

كما أنه قال في آخر كتابه "أقسام اللذات":

"لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠] ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه:٥] وأقرأ في النفي: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:١١] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل ماعرفت"[2].

وأما وصيته المشهورة فهي طويلة وقد أملاها لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الإصفهاني، ذكرها بطولها ابن أبي أصيبعة وغيره، قال: "وأملى في شدة مرضه وصية على تلميذه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الإصفهاني، وذلك في يوم الأحد الحادي

---

(1) "تاريخ الإسلام" للذهبي، (٥٩/١٣).

(2) "أقسام اللذات" للرازي، ص٢٦٣.

والعشرين من شهر المحرم سنة ست وستمائة، وامتد مرضه إلى أن توفي يوم العيد غرة شوال من السنة المذكورة، وانتقل إلى جوار ربه رحمه اللّه تعالى،وهذه نسخة الوصية بسم اللّه الرحمن الرحيم..." وذكرها.

وهي التي قال فيها: "" واعلم أن بعد التوغل في هذه المضايق، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق رأيت الأصوب والأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم، وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل،... أقرأ في الإثبات: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ [فاطر:١٠] ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه:٥] وأقرأ في النفي: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى:١١] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل ماعرفت"(١).

ومن أهم ما ورد بها فيما يخص موضوعنا قول الرازي رحمه الله: " فاعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم فكنت أكتب في كل شيء شيئاً لا أقف على كمية وكيفية سواء كان حقاً أو باطلاً أو غثاً أو سميناً إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي إن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والأغراض وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية للّه تعالى ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشي وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية"(٢).

ثم يتوصل من هذا إلى قوله: " فلهذا أقول كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذاك هو الذي أقول به وألقى اللّه تعالى به وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد فهو كما

(١) وصيته نقل منها هذا النص وغيره شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة منها: درء التعارض ٨٩/١، مجموع الفتاوي ١١/٥، ٥٦٢، ٢٢٥/٩، منهاج السنة النبوية ٢٧١/٥-٢٧٢. وكذلك: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص٤٦٦.

(٢) عيون الأنباء: مصدر سابق.

هو والذي لم يكن كذلك أقول يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين فلك ما مر به قلمي أو خطر ببالي فاستشهد علمك وأقول إن علمت مني إني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق فافعل بي ما أنا أهله وإن علمت مني إني ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق وتصورت أنه الصدق فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي فذاك جهد المقل وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلة فأغثني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي..."[1].

وأؤكد ما ذكرته من أنه كان قد اتجه فعلا إلى طريق الحق قبل وفاته، وأن هذه الوصية تأكيد لهذا وتتويج له لا أنها إنشاء لتوبة كما قد فهم بعض المترجمين والدارسين، ولذلك يقول الحافظ قال الإمام ابن حجر: "وقد مات الفخر يوم الاثنين سنة ست وست مائة بمدينة هراة واسمه محمد بن عمر بن الحسين وأوصى بوصية تدل على انه حسن اعتقاده"[2]. وكذلك قال الصفدي: "ومن وقف على هذه الألفاظ علم ما كان عليه هذا الإمام من صحة الاعتقاد ويقين الدين واتباع الشريعة المطهرة"[3].

وربما كان كتابه "أقسام اللذات" من آثار هذه المرحلة، "وهو كتاب مفيد ذكر فيه أقسام اللذات وبين أنها ثلاثة أقسام كالأكل والشرب والنكاح واللباس واللذة الخيالية الوهمية كلذة الرياسة والأمر والنهي والترفع ونحوها واللذة العقلية كلذة العلوم والمعارف وتكلم على كل واحد من هذه الأقسام"[4]، "وقد ذكر أنواعها وأن أشرفها لذة العلم والمعرفة وأشرف العلم العلم الإلهي لشرف معلومة وشدة الحاجة إليه"[5].

رحم الله الرازي وغفر له

ورحم الله أهل السنة ومن هداه الله إليها من أهل العلم. ونسأل الله لنا السداد والرشاد. والثبات حتى الممات.

---

(1) أقسام اللذات ٢٦٣.

(2) "لسان الميزان" لابن حجر العسقلاني، (٤/٤٢٩).

(3) "الوافي بالوفيات" لصلاح الدين الصفدي، (٤/١١٧).

(4) "اجتماع الجيوش الإسلامية" لابن القيم، (٢/٣٠٥).

(5) "الصواعق المرسلة" لابن القيم، (٢/ ٦٦٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني للتطواف في مدائن المعرفة والوقوف على خزائن العلم. وإن كنت لم اهتبل الفرصة لأتزود ولكن لعل الله يوفقنا للأفضل والأوعب في مستقبل الزمان، فقد أتاح لي هذا البحث أن أتعرف على بعض المتحولين من العلماء لطريق السنة الغراء، وذلك من خلال مصنفاتهم ثم مصنفات من خبرهم ودرسهم بعناية. فقد بدأت بتمهيد بينت فيه أسباب التحول الفكري ومظاهره المتعددة. وركزت على التحول المحمود كالإسلام بعد الكفر وتغير المذهب الفقهي أو الفتوى بعد الاقتناع. ثم جاء الفصل الأول ليتعرف على دوافع هذا التحول ومقرراته العامة، ثم الخاصة ببعض من تحولوا إلى السنة.

ولا بد من طرح نماذج حية لهذا التحول وأقطابه وهم من أساطين الفلسفة وعلم الكلام والفقه والأصول. فاخترت أربعة من كبار العلماء هم الاشعري والجويني والغزالي والرازي. فدرست مباحث الفصل موقف كل منهم قبل تحوله وماذا كان طريقه ومنهجه، ثم كيفية تحوله وآراءه بعد التحول إلى السنة. وعرفت بأشهر مؤلفات كل منهم قبل التحول وبعده حتى يستبين منهجهم ويعرف الفرق بين مؤلفاتهم ومقاصدها وما فيها من الصواب والخطأ.

لقد كان من أهم نتائج هذه الدراسة ألا يغتر الإنسان بفكره فقد يرجع عنه ولو قبل وفاته بساعة. لكن من نتائج الدراسة أن تحول العالم لا يأتي فجأة وإنما يمر بمراحل من التصفية الفكرية قبل اتخاذ القرار. ولذلك لم أرتض الاكتفاء ببعض التفسيرات التي تعزو التحول من بعضهم إلى علة طارئة أو موقف عارض وإن لم أرفضها رفضا تاما ولكن وضعتها في سياقها الطبيعي.

إن من أهم ما يقترحه البحث هو الاهتمام بمواطن القوة في عقيدة السلف الصالح ومزاياها الكثيرة التي لم تدرس بصورة مكثفة وواعية. فأتمنى أن يكون كل مزية من المزايا موضع دراسة مستقلة كما يفعل في دراسة مزايا الشريعة: رفع الحرج، التيسير الخ.

وكذلك اتمنى قيام دراسات توثيقية جادة لما اختلف في نسبته لأحد علماء السنة او غيرهم ممن يهمنا دراسة فكرهم وعقائدهم. فقد صادفني الكثير من مشكلات التوثيق في

بعض تراث من اخترتهم الفكري. خصوصا وأن الشبكة العنكبوتية الآن أصبحت مصدرا من مصادر المعرفة عند الكثيرين حيث يكتب فيها كل من له رأي أو هوى.

والله الموفق والهادي إلى السبيل.

المصادر والمراجع

الكتب:

١. أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف" هادي أحمد علي طالبي، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات الشرعية لنيل درجة الماجستير في العقيدة جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة، مكة: ١٣٩٩هـ.

٢. الإبانة عن أصول الديانة. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. تحقيق: د. فوقية حسين محمود. القاهرة: دار الأنصار، ط ١، ١٣٩٧هـ.

٣. ابن تيمية حياته وعصره آراؤه وفقهه. محمد أبو زهرة. القاهرة: دار الفكر العربي.

٤. اجتماع الجيوش الإسلامية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: عواد عبد الله المعتق. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٥. أساس التقديس للرازي. مكتبة كردستان العلمية – مصر ١٣٢٨هـ.

٦. الاستيعاب في معرفة الصحاب. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر القرطبي. تحقيق علي محمد البجاوي– دار الجيل – بيروت ١٤١٢هـ.

٧. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. تحقيق: أحمد عصام الكاتب. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٤٠١هـ.

٨. الأعلام. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي. دار العلم للملايين، ط ١٥، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين. للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بان قيم الجوزية – تحقيق: طه عبد الرءوف سعد – دار الجيل – بيروت، ١٩٧٣.

١٠. الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد (حياته وعصره–أصوله وفقهه–أصحابه وأنصاره في نشر مذهبه–آثاره العلمية وكتبه) للدكتور أحمد النحراوى الأندونيسى، بدون اسم للناشر. وأصل الكتاب دراسة للحصول على درجة الدكتوراه بجامعة الأزهر.

١١. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي

الدمشقي. تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. بيروت: دار عالم الكتب، ط ٧، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٢. أقسام اللذات. الفخر الرازي – تحقيق وتقديم: د. ديابر ود. بنجري. مطبعة برايل ٢٠٠٦م.

١٣. بحوث في الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين بقم المشرّفة.

١٤. البداية والنهاية. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. دار الفكر، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

١٥. البرهان في أصول الفقه. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين. تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

١٦. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. مجموعة من المحققين. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١٧. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م.

١٨. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.

١٩. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك.إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين الحنفي. تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط٢.

٢٠. التدوين في أخبار قزوين. عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني. تحقيق: عزيز الله العطاردي. دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.

٢١. التفسير والمفسرون. الدكتور محمد السيد حسين الذهبي. القاهرة: مكتبة وهبة.

٢٢. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩ – ١٩٦٩ هـ.
٢٣. جامع المسائل. تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. تحقيق: محمد عزير شمس. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٢٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٥. جامع بيان العلم وفضله. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.
٢٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة. تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. الرياض: دار الراية، ط ٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٢٧. درء تعارض العقل والنقل. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٢، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.
٢٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي. تحقيق: خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٢٩. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ.
٣٠. سراج الملوك. أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي. مصر: من أوائل المطبوعات العربية، ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م.

٣١. سير أعلام النبلاء. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٣٢. الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني. تحقيق د. هلموت كلوبفر. دار العرب للبستاني (د.ت).
٣٣. الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني. تحقيق د. علي سامي النشار. دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٩م.
٣٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. السعودية: دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٣٥. شرح عيون الحكمة للرازي. مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة.
٣٦. الصفدية. تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي. تحقيق: محمد رشاد سالم. مصر: مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٣٧. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. الرياض: دار العاصمة، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٣٨. طبقات الشافعية الكبرى. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ.
٣٩. طبقات الشافعية. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: عبد الحفيظ منصور. دار المدار الإسلامي، ط ١.
٤٠. طبقات الشافعيين. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب. مكتبة الثقافة الدينية،١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

٤١. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود. الرياض: مكتبة أضواء السلف، ط ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٤٢. عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة تحقيق د. نزار رضا – دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٥م.
٤٣. غياث الأمم في التياث الظلم. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين. تحقيق: عبد العظيم الديب. مكتبة إمام الحرمين، ط ٢، ١٤٠١هـ.
٤٤. الفتاوى الكبرى لابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
٤٥. فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، د. محمد صالح الزركان، دار الفكر العربي – القاهرة.
٤٦. الفهرست. أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم. تحقيق: إبراهيم رمضان. بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٤٧. لسان الميزان. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: دائرة المعرف النظامية في الهند. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.
٤٨. مجموع الفتاوى. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٤٩. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. للرازي تقديم: طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الزهرية – القاهرة (د.ت).
٥٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٥١. المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. ط ١، ١٤١٨ هـ.
٥٢. مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي. د. خالد كبير علال – دار المحتسب – ٢٠٠٨
٥٣. المقتبس من أنباء الأندلس. ابن حيان القرطبي، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان. تحقيق: الدكتور محمود علي مكي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠ه.ـ
٥٤. مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد عبد العظيم الزُّرْقاني. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ٣.
٥٥. المنقذ من الضلال. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود. مصر: دار الكتب الحديثة.
٥٦. المنقذ من الضلال. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. اعتنى به محمد إسماعيل حُزيِّن – و– شذا رائق عبدالله – نشر موقع الفلسفة الإسلامية.
٥٧. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. تحقيق: محمد رشاد سالم. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٥٨. منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل" د.جابر إدريس أمير ط/ أضواء السلف– الرياض ١٤١٩ هـ.
٥٩. موقف ابن تيمية من الأشاعرة. عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود. الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
٦٠. الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

المواقع الإلكترونية:

٦١. الوسطية في منهج أهل السنة والجماعة" للشيخ صالح بن حميد= =http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audi <(oid=٢٧٧٥٨#٢٧٧٥٨

٦٢. خصائص منهج أهل السنة والجماعة" د.سفر الحوالي (http://audio.islamweb.net/audio/Fulltxt.php?audioid=١١٠٧٢٢)
٦٣. موقع: ملتقى أهل التفسير (http://vb.tafsir.net/tafsir٢٣٨٤٩/)
٦٤. د. آمنة عامر الكفيشي، موقع: (http://brob.org/old/bohoth/bohoth/bohoth٠٩٢.htm)
٦٥. http://christopherhurtado.com
٦٦. حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي" للشيخ سعد شرف – ورقة ألقيت في صالون أ. د. أفنان دروزه الثقافي – يوم الخميس الموافق ١/١١/٢٠٠٧م – (http://www.afnanculturalsalon.org/salon_kalimat/٥٧.htm)
٦٧. المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال للإمام أبي حامد محمد الغزالي" للباحث: العربي الرباحي – مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية – (http://www.achaari.ma/Article.aspx?C=٥٨١١)،
٦٨. منهج التصنيف الكلامى عند الأشعرية. عصام الزفتاوي – موقعه الشخصي على الشبكة: (ttps://sites.google.com/site/esamanas/home